

خُدعة هر مَجِدِن

تأليف

محمد بن إسماعيل المقدم

تأليف الدكتور

محمد بن إسماعيل المقدم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده.

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

فقد شاع في السنوات الأخيرة ظاهرة محدثة، وهي الخوض في علامات آخر الزمان، وأشراف الساعة بأسلوب حافل بالتجاوزات والمآخذ^(١).

ومن أبرز مظاهر ذلك:

الكلام عن ما يسمى معركة "هَرْمَجْدُون" القادمة بين المسلمين والغربيين.

وقدفت المطابع بسيل من الكتب والمقالات تروّج لهذا المصطلح الدخيل، ويدعي أصحابها أنها مردافة "للملحمة" التي أخبر النبي ﷺ بوقوعها، دون أن يفطنوا للأبعاد الخطيرة وراء تقبل - بل أسلمة - هذا المصطلح العبري الدخيل، ودون أن يلتفتوا إلى الفروق الجذرية بين "الملحمة" وبين "هرمجدون".

وقد قال الله عز وجل: (وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [سورة الأنعام: ٥٥].

فجعل كشف "سبيل المجرمين" من مقاصد الرسالة، كي يحذّرهم المسلمون، ويطبّقوا مبدأ "اعرف عدوك".

وفي هذه الرسالة حاولت تتبع الجذور الاعتقادية للأصولية النصرانية^(٢)، وكيف تم تهويدها لصالح اليهود، وانعكاسات ذلك على الأمة المسلمة في هذا العصر، الأمر الذي

(١) وقد بينت ذلك مفصلاً في كتابي "فه أشراف الساعة".
(٢) انظر معنى "الأصولية النصرانية" بهامش (٥) ص (١٦).

قد يزبح كثيراً من علامات الاستفهام بل التعجب؛ عن سلوك الغرب إزاء قضايا المسلمين
بعمامة، وقضية فلسطين بخاصة.

والله عزَّ وجلَّ المسئول المرجو الإجابة أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، وأن
يُحِيطَ كيد أعدائهم، ويردَّه في نحورهم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد إسماعيل القدم

الإسكندرية في؛ الجمعة ٨ رجب ١٤٢٤ هـ

الموافق ٥ / ٩ / ٢٠٠٣ م

العداء التقليدي بين أهل الكتاب

كان النصارى يكرهون اليهود، ويُغضونهم، ويضطهدونهم طوال القرون الماضية، حيث كانوا ينظرون إليهم على أنهم قتلوا المسيح - حسب عقيدتهم الباطلة - وأنهم من أشد الطوائف التي قامت بتعذيب واضطهاد تلاميذ المسيح عليه السلام والناصري الأوائل.

وكانت بريطانيا قد طردتهم منها منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، ومنعتهم من دخولها مدة ثلاثة قرون، وأدركت فرنسا مكائدهم حتى اضطرت "لويس التاسع عشر" لطردهم وحرقت تلمودهم، وقال كلمته المشهورة - التي تمثل بها "نابليون" -: أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته " (٣).

وكان العداة النصراني لليهود على أشده إبان الحملات الصليبية، فقد كان المحاربون الصليبيون أول من بدأ المذابح اليهودية، وهم في طريقهم إلى فلسطين.

وبعد استرجاع النصارى الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر جرى طرد اليهود مع المسلمين من أسبانيا، وأقام الأسبان محاكم تفتيش لليهود المستترين وراء اعتناق النصرانية (٤)، ودام هذا الطرد خمسة قرون.

وحذر الرئيس الأمريكي "بنيامين فرانكلين" من الخطر اليهودي على الولايات المتحدة في مؤتمر إعلان الدستور سنة (١٧٨٩)، وكان مما قال: "إنني أحذركم أيها السادة، إذا لم تمنعوا اليهود من الهجرة إلى أمريكا إلى الأبد؛ فسوف يلعنكم أبنائكم وأحفادكم في قبوركم" (٥).

(٣) انظر: "اليهود تاريخ إفساد واخلال ودمار" للدكتور توفيق الواعي، ص (١٩٥ - ٢٠٥).

(٤) انظر: "المسيح اليهودي ونهاية العالم" للصحافي رضا هلال ص (١٤٤)، وهو بحث متميز حول ظاهرة النصرانية السياسية والأصولية في أمريكا - نشر مكتبة الشروق - القاهرة - ١٤٢١ هـ. تنبيه: اعلم أن الصواب إطلاق لفظ "النصارى" وليس "المسيحيين"، وكذا "النصرانية" بدل "المسيحية"، وإن كنت - غالباً - أثبت اللفظين التزاماً بدقة النقل عن مصادر البحث، وانظر (ص: ٦٤ - ٧٣).

(٥) "اليهود تاريخ إفساد واخلال ودمار" ص (١٩٧).

نقطة التحول

لقد ولدت في القرن السادس عشر الميلادي وجة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهوديين، وتحول - تبعاً لذلك - الموقف من اليهود نظرياً وعملياً، إذ قام ما يسمى " بحركة الإصلاح الديني " التي دعا إليها " مارتن لوثر " الذي تنظر إليه الفروق البروتستانتية على أنه المصلح الذي قاد تلك الحركة في مواجهة البابوية الكاثوليكية التي كانت تبغ صكوك الغفران.

لقد دعا " لوثر " النصارى إلى إجلال اليهود وتعظيمهم، وكان مما قال لهم: " شاءت الروح القدس أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس للعالم عن طريق اليهود وخدمهم، إنهم الأطفال ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فئات أسيادهم اليهود ".^(٦)

وقال لهم: " إن إعادة اليهود إلى أرض فلسطين هو تحقيق للنبوءات الواردة بالكتاب المقدس تمهيداً لعودة المسيح إلى الأرض، وحكمه لها مدة ألف سنة من القدس أرض ميعاد اليهود "^(٦).

لقد تنكر " لوثر " للاعتقاد الكاثوليكي حول اليهود، وروج لفكرة أن اليهود أمة مختارة مفضلة، حتى وُصفت حركته بأنها " بعث عبري - أو يهودي " ^(٧).

ومن هنا نشأ تعظيم النصارى لليهود، وبدأ ظهور ما يسمى بالحركات الصهيونية المسيحية، وبدأ الاختراق الصهيوني للنصرانية، وبدأ النصارى يعيدون تفسيراتهم للكتاب المقدس ^(٨) - عندهم - ونصوصه باعتبار أن اليهود " شعب الله المختار، وهم القديسون، فمن يباركهم يباركه الرب، ومن يلعنهم يلعنه الرب " ^(٩).

وما لبث اللاهوت البروتستانتية تجاه اليهود أن انتشر في شمالي أوروبا، ثم انتقل إلى العالم الجديد (أمريكا)، بما تضمنه من الاعتقاد بالتفسير الحرفي للنبوءات التوراتية،

^(٦) " المنظمات اليهودية المسيحية " لأحمد تهامي سلطان (ص : ٩).

^(٧) " المسيح اليهودي " (ص : ١٤٤).

^(٨) وقد أهدرت الحركة البروتستانتية حق الكنيسة الكاثوليكية في احتكار تفسير نصوص الكتاب المقدس عندهم، مما فتح الباب للاختراق اليهودي عن طريق تفسير النصوص بصورة تروق اليهود، وتخدم أهدافهم.

^(٩) " المنظمات اليهودية المسيحية " (ص : ٩).

وبالإحياء القومي لشعب اليهود، وتحول الاعتقاد البروتستانتي بالإحياء القومي لليهود، وقيام مملكة إسرائيل قبل المجيء الثاني للمسيح، إلى حركة سياسية "مسيحية صهيونية" سبقت الحركة اليهودية - الصهيونية في الدعوة إلى قيام وطن لليهود في فلسطين^(١٠).

^(١٠) "المسيح اليهودي" (ص: ١٤٥).
- وانظر تفاصيل ذلك في "حمى سنة ٢٠٠٠" (ص: ١٤٤ - ١٤٥)، (ص: ٢١١ - ٢١٢).

ظاهرة التراث "اليهو / مسيحي" المشترك

شهدت السياسة الأمريكية طيلة عقد التسعينيات ما أصبح يعرف بمسمى "حزب الله"، وهو تعبير أطلقته مجلة "القرن المسيحي" Christian Century على تحالف الإيفانجيليين والحزب الجمهوري.

بيد أن صعود "حزب الله" (اليمين الإيفانجيلي والجمهوري) عبر الربع الأخير من القرن العشرين؛ ارتبط بصعود ظاهرة اليهو - مسيحية Judeo - Christianity^(١١)، التي وجدت أساسها في مقولة التراث اليهودي - المسيحي، أي تماثل القيم اليهودية والمسيحية، التي تُرجمت في النهاية إلى؛ توافق القيم الإسرائيلية الأمريكية^(١٢).

لقد جذرت البروتستانتية التراث اليهو - مسيحي، إذ أصبحت التوراة جزءاً من الإيمان البروتستانتي، كما أصبحت عودة اليهود كأمة إلى فلسطين تمثل عصب الإيمان البروتستانتي المبني على التوراة، إذ أن نبوءات التوراة تتضمن أن اليهود سوف يعودون إلى فلسطين، ثم يصبحون مسيحيين حتى وإن مات منهم كثيرون في معركة "هرمجدون" الفاصلة، ولم يبق منهم إلا ١٤٤ ألفاً مع الهجاء الثاني للمسيح ليشملهم الخلاص في الألف عام السعيدة.

وهكذا فإن التراث اليهودي للنصرانية الأمريكية - كما يقول بول فندي - جعل الكثيرون من النصارى الأمريكيين يقرون بأن إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دوراً مركزياً في مخطط السماء والأرض.

^(١١) ويكفي في الدلالة على طغيان هذا الاصطلاح على الساحة الثقافية الأمريكية، وعلى أن من حاد عنه فإن اللوبي اليهودي له بالمرصاد؛ أن "كيرك فوردريس" حاكم ولاية ميسيسبي الجمهوري، لما صرح خلال أحد المؤتمرات بأن "أمريكا أمة مسيحية" اشتعلت ضده وضد الحزب الجمهوري الذي ينتمي إليه حملة إعلامية ضخمة انتهت بتصحيح الموقف على لسان "كارول كامبل" حاكم كارولينا الجنوبية ليرد على فوردريس مؤكداً على أهمية التراث "اليهو - مسيحي"، ثم اعتذر فوردريس نفسه بأن تصريحه أسيء نقله، وبأنه مؤمن بأن تقاليد أمريكا الدينية والأخلاقية هي تقاليد "يهو - مسيحية"، ومن يومها لم يجرؤ أحد في الحزب الجمهوري على أن ينسى وضع كلمة "يهو" قبل "مسيحية" في سياق الكلام عن التقاليد الأمريكية الأخلاقية والدينية، انظر: "المسيح اليهودي" (ص: ١٣٧)، بل وصف "جيرري فالويل" الولايات المتحدة بأنها: "جمهورية نصرانية يهودية"، انظر: "واقدهاه" (١ / ٥٤١).
^(١٢) "السابق" (ص: ١٢٣).

قال القس " بات روبرتسون ": " إن إعادة مولد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية الكون قد بدأ، وإن بقية نبوءات الكتاب المقدس أخذت تتحقق بسرعة مع مولد إسرائيل ".^(١٣)

ويعتبر " روبرتسون " عودة القدي إلى اليهود " أهم حدث تنبؤي في تاريخنا، وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية " ^(١٣).

وجاء انتصار الدولة اللقيطة في حرب يونيو ١٩٦٧ ^(١٤)، واحتلال القدس، ليمثل عند النصارى الأمريكيين تأكيداً لنبوءات التوراة وقرب مجيء المسيح ^(١٥)، وقد عبرت عن ذلك مجلة (Christianity Today) في عدد (٢١ / ٧ / ٦٧) بقولها: " لأول مرة منذ أكثر من ألفي عام؛ فإن القدس الآن كاملةً بأيدي اليهود، مما يعطي لدارس التوراة إيماناً عميقاً ومتجدداً في صحتها وصلاحتها " ^(١٦).

بل إن الأمريكيين باعتبارهم أنفسهم " الشعب المختار الجديد " ^(١٧) استعادوا حكايات وبطولات التوراة في أدوار معاصرة في أمريكا " أرض الميعاد الجديد " ^(١٨).

ولحقت الكاثوليكية بالروتستانتية، حيث تحولت هي الأخرى إلى " نصرانية صهيونية " سُخِّرَتْ لخدمة تأكيد شرعية الدولة اللقيطة، واحتلالها للقدس والأراضي الإسلامية ^(١٩) حيث اعتراف الفاتيكان بالكيان اليهودي عام ٩٣، ونظم مؤتمراً في أكتوبر

^(١٣) " المسيح اليهودي ونهاية العالم " ص (١٦٥).

^(١٤) وقد أطلقوا عليها اسم " حرب الأيام الستة " رغم أنها لم تكن ستة أيام، لأن النبي " يوشع " شن حرب الستة الأيام على أعدائه يوم الاثنين، وظل يحاربهم إلى أن حل مساء الجمعة، فسأل الله أن يؤخر غروب ذلك اليوم، حتى يجهز على أعدائه قبل أن يبدأ السبت، كما في " واقدسه " (١ / ٤٦٧).

^(١٥) لأن النصارى ادعوا أن احتلال القدس عام ٦٧ أعظم دليل على أن التوراة حق، لأنها أخبرت عن عودة اليهود إلى القدس، وأن الإنجيل حق لأنه أخبر أيضاً بعودة اليهود إلى القدس، وما داموا قد عادوا إليها كما أخبر الكتابان، فلا بد أنهم سينتصرون في النهاية كما أخبرت نصوصهما بذلك أيضاً، أنظر: " حمى سنة ٢٠٠٠ " (ص: ١٤٦).

^(١٦) " المسيح اليهودي ونهاية العالم " ص (٨٣).

^(١٧) وفي هذا يقول اللاهوتي السياسي " روماس راشدونى ": " إن الشعب الأمريكي هو الشعب المختار الجديد الذي عاهد الرب على بسط سلطته على العالم "، وانظر " المسيح اليهودي " (ص: ٤٥)، وما بعدها لتقف على تأثر المهاجرين البروتستانت الأوائل إلى أمريكا بالتصورات اليهودية القديمة، حتى إنهم طبقوا أسلوب مطاردة وإبادة الهنود الحمر اقتداءً بمطاردة العبرانيين القدماء الكنعانيين في أرض فلسطين.

^(١٨) انظر: " المسيح اليهودي " (ص: ١٣٣ - ١٣٤).

^(١٩) " السابق " ص (: ١٤٩).

٩٧ مناقشة وثيقة رسمية عنونها: " جذور معاداة اليهود في الوسط المسيحي "، وقد دعا هذا المؤتمر إلى مراجعة وتعديل بعض النصوص الدينية في " العهد الجديد "، وتعليل إنجيلي " متى " و " بولس " لإنصاف اليهود، كما أكد المؤتمر على أن النصارى واليهود يتقاسمون الاعتقاد بالإله " يهو " الإله اليهودي، وبأن المسيح والحواريين وُلدوا يهوداً^(٢٠).

وفي خطاب " كارتر " أمام الكنيست في مارس ١٩٧٩ قال الرئيس الأمريكي الأسبق: " إننا نتقاسم معاً ميراث التوراة " وأعلن في بيانه الانتخابي في العام نفسه: " أن تأمين إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءات التوراتية " (٢١).

وفي كتابها " النبوءة والسياسة " تقول الباحثة الأمريكية " جريس هالسل ": " إن اليمين المسيحي كان مستعداً، بل راغباً بكل قوة في إشعال حرب نووية من أجل إسرائيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية " (٢٢).

ولقد جسدت كلمات " إيوجين روستو " (٢٣) حقيقة الالتحام بين التراثين اليهودي والنصراني من جهة، وتدين السياسة الأمريكية من جهة أخرى، تلك الكلمات التي أزاحت اللثام عن التفسير الحقيقي للتدعيم الأعمى الذي تلقاه الدولة اللقيطة من السياسة الأمريكية، إذ قال: " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية.

لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي: فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته، وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي

(٢٠) " السابق " (ص: ١٤٧).

(٢١) " السابق " (ص: ١٣٥).

(٢٢) " السابق ".

(٢٣) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشاره الرئيس " جونسون " لشؤون ما يسمى " الشرق الأوسط " حتى عام ١٩٦٧.

للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها - إن فعلت عكس ذلك - فإنها تتنكر للعتها، وفلسفتها وثقافتها، ومؤسستها "أهـ" (٢٤).

وقال المستشار الأمريكي السابق للأمن القومي "برينجسكي": "إن على العرب أن يفهموا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية لا يمكن أن تكون متوازنة مع العلاقات العربية، لأن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية علاقات مبنية على التراث التاريخي والروحي" (٢٥).

وقال القس الأمريكي "جيمي سواجارت": "إن الرب يقول: إنني أبارك من يبارك إسرائيل، وألعن من يلعنها، وبفضل الرب ما زالت الولايات المتحدة متفوقة، وأعتقد أنها لم تبلغ ما بلغت إلا بمساندتها لإسرائيل، وأدعو الله أن يدوم دعمنا لإسرائيل" (٢٦).

لقد طالب النصارى الصهاينة قادتهم وزعماءهم بأن يضيعوا نبوءات كتبهم المقدسة عندهم نصب أعينهم عند رسم الخطط والسياسات الاستراتيجية، وأن يكون لهم دور في صنع الأحداث القادمة، وألا يتركوا الأحداث للأقدار، بل يجب أن يعجلوا بها حتى يسرع المسيح في العودة لإنقاذ شعب الله المختار - اليهود في زعمهم - ويقوم المملكة الإلهية على الأرض، فينشر السلام والأمن والرخاء (٢٧).

وقال "جون وليم": "مستقبل المسيحيين في العالم يتحدد بتعزيد إسرائيل مادياً، لتثبت وجودها في تحقق إرادة الله بتمتته الأمان، ويعود المسيح ثانية" (٢٨).

أما "أوليفر كرمويل" راعي الكومنولث البريطاني فقد أعلن أن الوجود اليهودي في فلسطين هو الذي يمهد للمجيء الثاني للمسيح (٢٩).

وقال "حايم وايزمان" - مؤسس الدولة الصهيونية في مذكراته -: "إذا سأل سائل: ما أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أمانى اليهود؟ فالجواب على ذلك: أن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتدئين الإنجليز هو الذي

(٢٤) "معركة المصير" (ص: ٨٧).
 (٢٥) "قبل أن يهدم الأقصى" (ص: ١٦).
 (٢٦) "السابق" (ص: ١٦٢).
 (٢٧) "الحرب العالمية القادمة" (ص: ٣٢).
 (٢٨) "الحرب العالمية القادمة" (ص: ١٥٢).
 (٢٩) "المنظمات الصهيونية المسيحية" (ص: ١٢).

ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب إعادة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات " اهـ (٣٠).

بل كان " بلفور " صاحب الوعد المشهور (٣١) - وعد من لا يملك لمن لا يستحق - يردد بفخر قائلاً: " أنا صهيووني أكثر من أي صهيووني آخر "، وقال عنه " وايزمان " في مذكراته: " أتظنون أن بلفور كان يحاينا عندما منحنا الوعد؟ كلا إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد الجديد " (٣٢) اهـ.

وقال بلفور نفسه: " الدول الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على صواب أو على خطأ، صالحة أو باطلة، فإنها ذات جذور عميقة في تقاليد العصر واحتياجاته ومستقبله على نحو أعمق بكثير " (٣٣)، وقالت أخت " بلفور " عنه: " لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنائس... وما زلت أفكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة القائلة بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية مدينة بالشيء الكثير لليهود " (٣٤).

فلا عجب من أن يقول " ابن جوريون " في الكنيست: " نحن مدينون بنجاحنا في إقامة دولة إسرائيل بـ ٩٧,٥% للسياسة المسيحية التوراتية، وبـ ٢,٥% للحرب والجيش ".

وقال " بنيامين نتنياهو " : " لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة تحقق من خلال المسيحيين الصهيونيين " (٣٥).

وقال " نتنياهو " أيضاً: " إن الذين يستغربون مما يظنون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها المسيحيين، يجهلون أمر اليهود أو المسيحيين، إن هناك روابط روحية

(٣٠) مقارنة الأديان " للدكتور أحمد شلبي (ص: ١٠٦).

(٣١) وقد اعترف " وايزمان " في مذكراته أنه هو الذي كتب هذه الوثيقة المسماة بوعد بلفور - بنفسه، بناءً على طلب اللورد بلفور كما في " عقيدة اليهود في تملك فلسطين " (ص: ٢١٦).

(٣٢) " قبل أن يهدم الأقصى " (ص: ١٥٩).

(٣٣) " الحرب العالمية القادمة " (ص: ١٤٩).

(٣٤) " الحرب العالمية القادمة " (ص: ١٤٩).

(٣٥) " النبوءة والسياسة " (ص: ١٤).

تشدنا بإحكام وثبات، إنها شراكة تاريخية أدت وتؤدي بدورها بشكل جيد لتحقيق الأحلام الصهيونية" (٣٦).

ويقول المنصّر الأمريكي " فالويل " زعيم الأصوليين (٣٧): " إنه يتمنى أن تأخذ إسرائيل أراضٍ جديدة فيما يعرف اليوم بالعراق، وسورية، وتركيا، والسعودية، ومصر، والسودان، وكلّ أراضي لبنان، والأردن، والكويت، لأنها أصلاً للأمة اليهودية... إن الله قد بارك أمريكا، لأن أمريكا تعاونت مع الله في حماية شعب غالٍ عليه " (٣٨).

أما القس " بيلي جرام " فقد خطب في تجمع كبير إبان ما سُمّي " بعاصفة الصحراء " قائلاً: " إن القوى الروحية بدأت عملها في الخليج الفارسي، وإنما عائدون إلى أراضي الكتاب المقدس " (٣٩).

وتقول " لي أوبرين ": " يرى أصحاب هذا الفهم - أي من الأصوليين الإنجيليين - الذي يتغلغل في الفكر الأمريكي أن الله اختار الولايات المتحدة، وباركها بصورة خاصة من أجل إسرائيل " (٤٠).

وإذا أطللنا من خلال نافذة التاريخ، أدركنا أن " النصرانية الصهيونية " ذات جذور عميقة في الوجدان الغربي:

فقد كان " كريستوفر كولومبوس " مثلاً يعتقد أن مغامرته لاكتشاف العالم الجديد تأتي ضمن خطة الرب لعودة المسيح، وبدء الألف عام السعيدة، وسوف تقود في النهاية إلى تحرير أورشليم من المسلمين " الكفار في زعمه " وإعادة بناء المعبد، وقال

(٣٦) " السابق " .

(٣٧) يطلق مصطلح " الأصولية " Fundamentalism الذي ظهر عام ١٩١٠ م على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس (عندهم) سواء العهد القديم أو العهد الجديد، والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لجعل الحياة بما في ذلك الشؤون السياسية، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى بعث إسرائيل، والمجيء الثاني للمسيح، والملتزمة بالتبشير بين أولئك الذين لم يعتنقوا هذا الاعتقاد، وانظر: " المسيح اليهودي " (ص: ١٥٦).

٣٨ صحيفة (Career Time) تاريخ (٦ / ٢ / ٨٣).

(٣٩) جريدة (U.S.News) في (١٩ / ١١ / ٩٠).

(٤٠) " نذير ونفير " (ص: ٢٠٤).

كريستوفر للملكة إيزابيلا: " إنه سوف يستخدم الذهب الذي يجده في العالم الجديد في إعادة بناء المعبد لكي تكون أورشليم مركز العالم " (٤١).

و حين انطلق " نابليون بونابرت " من مصر سنة ١٧٩٩ م بعد حملته عليها، وجّه نداءه إلى يهود العالم يستحثهم فيه على الانضواء تحت رايته لإعادة بناء ما أسماه " مجد اليهود الضائع في القدس " (٤٢).

وفي عام ١٨٣٩ م حث اللورد " أنطوني أشلي كوبر " جميع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وقال: " إن اليهود يلعبون دوراً رئيسياً في الخطة الإلهية حول المحيي الثاني للمسيح "، فالحيي الثاني للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود يعيشون في إسرائيل المستردة، وقال: " إنه يجب عليه وعلى الإنجليز مساعدة الله (٤٣) لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع اليهود إلى فلسطين، لأن اليهود ضروريون بالنسبة للأمل المسيحي في الخلاص... إن فلسطين بلاد بدون أمة لأمة بدون بلاد " (٤٤).

(٤١) " المسيح اليهودي " (ص: ١٣٨).

(٤٢) انظر: " حماس: حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين " (ص: ١٦)، " واقدساه " (ص: ٤٩٥) وما بعدها.

(٤٣) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(٤٤) " المنظمات الصهيونية المسيحية " (ص: ١٣٧).

لستم على شيء

قال الله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ) [سورة البقرة: ١١٣]، ونحن نقول: صدقتما، فليس أحد منكم على شيء.

لقد حاولت النصرانية الصهيونية أن تجمع بين القطبين المتنافرين كرها حينما أطلقت على الملتين "ديانتى الكتاب المقدس، والوصايا العشر" مع تنافرهما الصارخ في جذور العقيدة واختلافهما في قضايا التوحيد، والبعث، وشخصية المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وراح الأصوليون الإنجيليون يُمنُّونَ أنفسهم بدخول ما يسمونه "الشعب المختار" في ملتهم، وراح اليهود يناورون، ويراوغون كعادتهم.

- فقد كان هدف "مارتن لوثر" النهائي هو تحويل اليهود إلى البروتستانتية، وبدلاً من أن يفعل اليهود ذلك؛ كانوا يجمعون الأنصار لتهويد النصارى، ولذلك انقلب عليهم "لوثر" وعبر عن بغضه إياهم في كتابه "ما يتعلق باليهود وأكاديبهم" الذي وضعه عام ١٥٤٤ م، وطالب فيه بطردهم من ألمانيا^(٤٥).

- وبالرغم من أن التلمود يقول: "سيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم" ^(٤٦).

إلا أن "هرتزل" عرض على "بيوس العاشر" الملقب بالبابا في عام ١٩٠٤ أن يتحول اليهود إلى النصرانية بعد إقامة إسرائيل، غير أن "بيوس" لم تنطل عليه الحيلة، فرفض العرض اليهودي^(٤٧).

^(٤٥) "المسيح اليهودي" (ص: ١٤٥).

^(٤٦) انظر: "نذير ونفير" (ص: ١٨٧).

^(٤٧) روت ذلك "روت بلاو" في مذكراتها التي تحمل عنوان: "يهود... لا صهاينة" كما في "المسيح اليهودي" (ص: ١٤٩).

تلك أمانيتهم!

يخني النصارى أنفسهم بأن " خلاصة " اليهود سوف يدخلون في ديانة المسيح عندما يعود، أما بقيتهم من غير المؤمنين به ^(٤٨) فسوف يُقتلون مع باقي أعداء المسيح.

إن كلاً من الفريقين - اليهود والنصارى - يحاور الآخر، ويراهن عليه، ويريد أن يدخله مع أتباع مسيحه، تقول الباحثة الأمريكية " لي أوبرين " : " من التناقضات الظاهرية في عمل المنظمات اليهودية الأمريكية مع (طائفة الإنجيليين)، تناقض يدور حول التوتر بين رغبة الإنجيليين في التنصير، وبين الاشتباه في مقاومة اليهود الأمريكيين للنشاط التبشيري، ففي حين أن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، فإنها أيضاً تذهب إلى أن تجتمع اليهود مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح، ولهذا فأنصار السفارة المسيحية الدولية يشجعون محاولة تنصير أتباع أي مجموعة دينية باستثناء اليهود؛ إذ أنه من المحرم عليهم التبشير بينهم لأنهم سيؤمنون تلقائياً بالمسيح عندما يتزل " ^(٤٩).

ولا يزال النصارى الصهانية يعبرون عن حُلمهم في دخول اليهود في ملتهم، إذ عندما انعقد الجمع العالمي الثاني للكنائس النصرانية في (أفانستون) عام ١٩٥٤ م، قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء فيه: " إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم - التوراة - بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك " ^(٥٠).

وأصدر مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان الآتي:

" إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل - الشعب المختار - لكي يتابع خلاصه للبشرية، ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة التي هي إسرائيل؛ ولذلك فإن شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب

^(٤٨) ومع اتهام طوائف النصارى بعضهم لبعض بأنهم أتباع الدجال عندما يخرج؛ فإنهم مجمعون على أن اليهود هم طليعة أنصاره، ورأس حربته، وهم الذين سيقودون معسكر أعداء المسيح، ولهذا فهم يعتقدون أن الله سينتقم منهم في القدس وسيخربها، ثم يخلصها منهم، ويورثها للمسيح وأتباعه، وانظر: " حمى سنة ٢٠٠٠ " (ص: ٢٣١).
^(٤٩) " نذير ونفير " (ص: ١٩٨).
^(٥٠) " قبل أن يهدم الأقصى " (ص: ١٥٦).

العهد القديم... إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار " (٥١).

لقد دعا القس " بات روبرتسون " الواعظ التلفزيوني الأمريكي الشهير اليهود عام ١٩٩٥ إلى التحول إلى النصرانية قبل مجيء المسيح حتى يشملهم الخلاص، ولكنه تراجع عن دعوته بعد تعرضه لهجومٍ عاتٍ من اللوبي اليهودي واتهامه بمعاداة السامية.

وكان هذا التناقض قد مئعه " مناخم بيجن " بالاتفاق مع الحركة النصرانية الأصولية على تأجيل هذه المسألة حتى بناء الهيكل ومجيء المسيح، والتركيز على دعم إسرائيل، وأن تكون القدس عاصمتها الأبدية والموحدة (٥٢).

إن الاختلاف حول شخصية المسيح الآتي، لم يعطل مسيرة العمل المشترك بين الفريقين تمهيداً لمجيئه، بل هما يتعاونان فيما اتفقا عليه وهو ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصى، ثم عندما يأتي المسيح يكون هناك شأن آخر.

قال أحد زعماء اليهود لزملائه من النصارى: " إنكم تنظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى، فلنبداً أولاً ببناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سوياً (٥٣).

إن الغزل اليهودي النصراني لا يقف عند حد العواطف في عصرنا هذا، بل يترجم إلى تعاون في كل المجالات من أجل الأهداف الدينية المشتركة، والمتأمل في العلاقة بين النصارى واليهود في عصرنا هذا تصيبه الدهشة لهذا الانفراج غير العادي في العلاقات، وذلك التجاذب القهري بين القطبين المتنافرين بعد قرون طويلة من العداة والصراع.

ويبدو واضحاً أن الأساس اللاهوتي الصليبي هو الذي يفسر دعم النصارى لليهود وارتباطهم معهم - وخاصة أولئك الذين يزعمون أن كل نصوص العهد القديم تحتوي على كل الحقيقة بما فيها وعد الله لإسرائيل في التوراة، ومن ثم اقتناعهم بأن دولة إسرائيل

(٥١) " السابق " .

(٥٢) " المسيح اليهودي " (ص: ٢٢٤)، واعلم أن هذه العبارة الخبيثة التي تصف القدس " بالعاصمة الأبدية الموحدة للدولة اللقيطة " طالما يكررها اليهود والأصوليون الإنجيليون، ويلحون في تكرارها بمناسبة وغير مناسبة، كنوع من الحرب النفسية ضد المسلمين، ليؤسّسهم من استردادها وتحريرها، مع أن رسول الله ﷺ أخبر أن الخلافة ستنزل الأرض المقدسة، وفي حديث أبي أمامة: " وكلهم - أي المسلمون - بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى.. " الحديث (٥٣) " نذير ونفير " (ص: ١٩٧).

الحديثة هي امتداد لدولة إسرائيل التوراتية، عندئذ لا يكون هناك أي عائق دون اعتناقهم للصهيونية النصرانية؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف استساغ الكثير من قادة النصارى ومبرزيهم في هذا العصر أن ينتسبوا إلى الصهيونية مع بقائهم على دين النصرانية^(٥٤).

^(٥٤) "السابق" (ص: ١٩٩).

جبرية الإنجيليين في موقفهم من الدولة اللقيطة

" إن تلك الطوائف من النصارى تشارك اليهود اعتقادهم في أن إعادة بناء الهيكل سيعجل بقدوم المسيح، فالطرفان يؤمنان بأن اليوم الآخر على الأبواب. وبالنسبة للنصارى فإن ذلك يعني أن المجيء الثاني للمسيح عيسى ابن مريم أصبح وشيك الوقوع، وأما بالنسبة لليهود فإن مجيء المسيح اليهودي المنتظر للمرة الأولى هو أيضاً وشيك القدوم، ويؤمن الطرفان بأن المكان الذي سيتم فيه ذلك القدوم هو (جبل الهيكل) في القدس؛ لأنه المكان الذي يجب أن يتم فيه إعادة بناء هيكل سليمان، وبموجب العقيدة السائدة بين النصارى؛ فإن التعاليم الإنجيلية تتطلب حدوث ثلاثة أمور قبل أن يتحقق المجيء الثاني للمسيح:

الأول؛ يجب أن تصبح إسرائيل دولة.

الثاني؛ يجب أن تكون القدس عاصمة يهودية.

الثالث؛ يجب أن يُعاد بناء الهيكل.

وفي نظر هذه الطوائف من النصارى واليهود لم يبق سوى إعادة بناء الهيكل - وهو الشرط الثالث؛ لكي يحدث المجيء المتوقع للمسيح " (٥٥).

لقد أنجز اليهود - بمؤازرة النصارى الصهاينة - الهدفين الأول والثاني، أما الثالث فإنه مهمة الوقت التي يرونها قريبة.

جاء في كتاب " كوكب الأرض العظيم الراحل " الصادر عام ١٩٧٠: " إن عودة القدس إلى اليهود تمثل الخطوة قبل الأخيرة قبل نهاية العالم، إذ إن الخطوة الأخيرة هي إعادة بناء المعبد القديم فوق موقعه التاريخي القديم، وهو المكان نفسه الذي تقوم عليه الآن قبة الصخرة " اهـ (٥٦).

لقد كانت بهجة النصارى عظيمة لا تقل عن ابتهاج اليهود باحتلالهم القدس عام ١٩٦٧ م، وقد عبر عن ذلك في حينه " راندولف تشرشل " عندما قال: " لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حُلْمَ المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصد

(٥٥) " نذير ونفير " (ص: ٢٠٠).

(٥٦) " المسيح اليهودي ونهاية العالم " (ص: ١٠٨).

الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود " (٥٧).

ويحاول القوم مغالبة السنن، واستدعاء المصائب والفتن، وكأنهم يريدون أن يتحكموا في صناعة الأقدار، واستخراجها - عَنوة - من مكنون الغيب ومستور القضاء إلى عالم الشهادة، ولو أدى ذلك إلى إشعال نيران الحرب النووية المدمرة (٥٨).

يقول المنصّر " أوين ": " إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان الإسلامي المقدس " المسجد الأقصى - وسيستفزون بذلك العالم الإسلامي للدخول في الحرب المقدسة المدمرة مع إسرائيل - معركة هرمجدون - والتي سترغم المسيح المنتظر على التدخل لإنقاذ إسرائيل " (٥٩).

وعندما سئل القس " ديلوتش " عما إذا نجح اليهود الذين يؤيدهم في تدمير قبة الصخرة والمسجد الأقصى فأدى ذلك إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثالثة " معركة هرمجدون " فهل سيعتبر نفسه من المسؤولين عن ذلك أم لا؟ أجاب قائلاً: " كلا... لأن ما سيفعله أولئك اليهود هو إرادة الله " (٦٠).

ويعتقد حوالي أربعين مليون أمريكي إنجيلي في الولايات المتحدة نفسها - بالإضافة إلى غيرهم خارج أمريكا - أن القوانين الوضعية لا تطبق على مصادرة اليهود، واغتصابهم أراضي فلسطين، بل هدم المسجد الأقصى، وإن تسبب في نشوب حرب عالمية ثالثة لأنهم - في اعتقادهم - يتصرفون حسب مشيئة الرب (٦١).

(٥٧) " حرب الأيام الستة " (ص : ١٣٩) من الترجمة العربية.

(٥٨) ولو أحسن اليهود والنصارى التفريق بين الأمور " الكونية القدرية " وبين الأمور " الشرعية والإرادية " ، وحالفهم التوفيق الإلهي بفتح مغاليق قلوبهم ، لأدركوا أن الأمور الكونية القدرية واقعة لا محالة ، وأنها لا تُستدعى - قهراً - من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، فرما زالت عنهم الغشاوة ، ولجنبوا البشرية كلها - وليس المسلمين فحسب - ويلات الحروب التي أشعلوها ، والحروب التي يدقون طبولها صباح مساء .

(٥٩) " النبوة والسياسة " (ص : ٥٧).

(٦٠) " السابق " (ص : ١٧١).

(٦١) انظر: " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " (ص : ٩٩) ، ولعل هذه الخلفية تفسر لنا بوضوح الانحياز الأمريكي الأعمى إلى جانب يهود ضد الفلسطينيين مهما ارتكبوا من جرائم وفظائع ، وتفسر لنا أيضاً لماذا توضع " إسرائيل " فوق كل القوانين ، وتستثنى من كل الإجراءات بما في ذلك التفتيش عن أسلحتها النووية والبيولوجية.

نبوءات في خدمة الجرائم والانتهاكات

وراء كل جريمة يرتكبها يهود وأذناهم " نبوءة " مزعومة تُسوِّغها لهم، وتضيء لهم الضوء الأخضر، كي يتمادوا في بغيهم وإفسادهم، وليس للمستضعفين المقهورين سوى أن يُسلّموا للنبوءات " المقدسة "، حتى لو لم يُسلّموا بألها " مقدسة "، لأنه هكذا أراد يهود، وهكذا فهم المغضوب عليهم، وأذناهم الضالون.

لقد قال " بن جوريون " في تبرير عدوان (١٩٥٦ م): " إنه يوطد أمن إسرائيل، ويحميها من العدو، ويجرر أرض الأجداد من الغاصبين " (٦٢).

ولما اعترض أحد الوزراء على احتلال الجولان، وعلل اعتراضه بعدم وجود روابط توراثية، رد عليه " إيغال آلون " قائلاً: " إن الجولان قطعة من إسرائيل القديمة لا تقل أهمية عن الخليل ونابلس " (٦٣)، وهب زعماء يهود يؤكدون أن استيلاءهم على الأراضي المحتلة ما هو إلا تحقيق لنبوءات العهد القديم (٦٤).

وقال " مناحيم بيغن " في (٢٨ / ٥ / ١٩٦٨): إن الأراضي العربية المحتلة هي أراضٍ إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي " (٦٥).

وفي عام ١٩٨٣ م نظم المنصّر " جيرري فالويل " رحلة إلى فلسطين، لإطلاع النصارى الأصوليين على الأماكن المقدسة هناك، وعلى الأخص الأماكن التي سوف تشهد معركة " هرمجدون "، ونظم لهم لقاءات مع قادة سياسيين ودينيين في الدولة اللقيطة، كان من بينهم " موسى أريتر " - وزير الحرب اليهودي آنذاك -.

وفي هذا اللقاء قال لهم " أريتر ": " إن غزو لبنان عام ١٩٨٢ كان بإرادة إلهية، فهي حرب مقدسة مستمدة من العهد القديم - التوراة - وهذا يؤكد النبوءة، إذ إن هذا الغزو يمكن أن يعني أن معركة مجدو قد اقتربت " (٦٦).

(٦٢) " أهداف إسرائيل التوسعية " (ص: ٥١).

(٦٣) " الوثيق الصهيونية في العهد القديم " لجورجي كنعان، ص (٧٢)، (١٠٣).

(٦٤) " الوثيق الصهيونية في العهد القديم " لجورجي كنعان، ص (٧٢)، (١٠٣).

(٦٥) " أهداف إسرائيل التوسعية " (ص: ٦).

(٦٦) " الحرب العالمية القادمة " (ص: ٣٢).

حتى السور العنصري المقيت الذي اقترح بناءه " إسحاق راين " - حماسة السلام المفترسة - وشرع " بيريز " في تنفيذه عام ١٩٩٦ م، والذي سيحول المناطق الفلسطينية الحالية إلى معتقل كبير للفلسطينيين، استخرجوا له أسطورة من كتاب " القابلاه " في شرح التوراة، تنص على أن القدس هي " الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات، حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعدو جدرانها؛ حتى يعود التوازن إلى العالم " (٦٧).

إذن وراء كل " مجزرة " و " مذبحه " و " جريمة " يهودية؛ نبوءة تورانية مزيفة، أو محرفة، وليس على الآخرين سوى أن يرضخوا لإرادة الشعب المختار، لأنها - وبساطة - إرادة الله في زعمهم.

جاء في إحدى بيانات " رعوية المغامرة الكبرى " التي يتزعمها الأصولي الإنجيلي " جورج أوتس " : " إن إنشاء إسرائيل الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية، ونذير بمقدم المسيح، ونعتقد أن اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب الله المختار، وأنه يبارك من يباركهم، ويلعن من يلعنهم " (٦٨).

فإذا كانت " النبوءات " والنصوص " التوراتية " تمنح الدولة اللقيطة هذه الامتيازات " القدرية " فكيف تتخلى عنها؟ بل كيف لا تتمدى في افترائها أو تحريفها وتأويلها لتجني من ورائها المزيد والمزيد من حصادها؟!

* * *

ومما يؤكده عبثية اليهود في أمر النبوءات، أن من الجماعات اليهودية فئات ترفض قيام دولة يهودية أصلاً، باعتبار أن ذلك نذير هلاك اليهود وفنائهم، وذلك بناءً على " نبوءات " واردة في كتبهم.

في حين يبين كثير من الباحثين المسلمين أن النبوءات التي يستبشر بها أهل الكتاب إنما هي بشارات ببعثة رسول الله محمد ﷺ، وبالتمكين لأمته، وهزيمة أعدائهم، ولا يمكن تأويلها وفقاً لمزاعم اليهود والنصارى، كما يبين ذلك الدكتور أحمد حجازي السقا في كتابه " هرمدون حقيقة أم خيال "، وكما بين الدكتور سفر الحوالي في كتابه " يوم

(٦٧) " موسوعة اليهودية والصهيونية " د / عبد والهاب المسيري (٤ / ١٢٥).

(٦٨) " القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى " (ص : ٦).

الغضب"، وأخص بالذكر الفصل البديع المسمى "شهادة قطعية" ص (٣٥ - ٤٤)، حيث استخرج فيه من نصوص كتبهم صفات بيت الله الحرام، والكعبة المشرفة بصورة رائعة وقاطعة أن المقصود بها "مكة المكرمة" وليس "القدس"، ولا "الهيكل المزعوم".

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى

بدخول الألفية الثالثة تقترب نهاية دورة الزمان في التاريخ اليهودي، لتبدأ دورة ملك السلام اليهودي الذي سيقضي على كل أعداء إسرائيل في زعمهم، ومن هنا فهم يسعون إلى تهيئة عالم الشهادة لقدمه من عالم الغيب، وقد قامت دولته، ووحّدت عاصمته، وجُهِّزَ هيكله، ويستثمر اليهود عقيدة النصارى في "هرمجدون" و "الألفية" و "عودة المسيح" ببحث ودهاء، وينظرون إليهم على أنهم "بلهاء" إذ يقتنعون بالتعاون حالياً معهم على هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء الهيكل، باعتباره القدر المتفق عليه بينهما، في حين يُوجَّحُ حسم نقاط الخلاف بينهما إلى ما بعد مجيء المسيح.

أما السذج من النصارى فيحسنون الظن بيهود، ويتوقعون أنهم سوف تملكهم المفاجأة حين يعود المسيح، ويكتشفون أنه عيسى ابن مريم عليه السلام، فيؤمن به صفوفهم تلقائياً، ويدخلون في "النصرانية"، أما شرارهم فسوف يكونون مع الدجال ضده، ويهزمهم المسيح، وعلى كل الأحوال فإن "الأصولية النصرانية" - رغم الغزل الذي تردده صباح مساء في حق اليهود وإسرائيل - لا ترى لهم حقاً في القدس إلا باعتبارهم "آلة" قدرية تهيء الدنيا لمقدم المسيح العائد ليعمّد اليهود وسائر البشر في الأرض المقدسة.

وما أحسن ما قال الدكتور عبد العزيز مصطفى كامل - حفظه الله - في هذا الشأن: "إن فرح النصارى باليهود ورعايتهم لهم في عصرنا، هو أشبه بفرح علماء المختبرات بالعثور على الفئران أو الضفادع أو الحيات النادرة التي لا يمكن إنجاح التجارب إلا بها، وهذه المخلوقات - على وضاعتها وحقارتها - وخطورتها أيضاً - تلقى كل الرعاية والحرص، لا حباً فيها، ولكن لأن الاختبارات لن تجتاز إلا بها!

فالمسيح لن يأتي إلا بعد خروج الدجال، والدجال لن يأتي إلا بعد عودة اليهود إلى القدس، وهدمهم الأقصى، وبنائهم الهيكل، وذبحهم البقرة... إلخ.

فاليهود على هذا شر لا بد منه، والدجال قدر لا بد من مواجهته، وهذا الدجال الذي تؤمن النصارى بحتمية خروجه؛ قد وردت بشأنه الأخبار في مصادرهم " (٦٩).

(٦٩) "حمى سنة ٢٠٠٠" (ص: ٢٢٩).

الملحمة كما ثبتت في السنة الشريفة

عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: مال مكحول وابن أبي زكريا إلى خالد بن معدان، وملت معهم، فحدثنا عن جبير بن نفير، عن الهدنة، قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مخبر، رجل من أصحاب النبي ﷺ، فأتيناه، فسأله جبير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتتصرون، وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون حتى تزلوا بمرج ذي ثلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة " (٧٠)، وزاد بعضهم: " فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة " (٧١).

إن الملحمة معركة هائلة تقع بين المسلمين والصلبيين (٧٢)، وسببها هو السبب الذي أشار إليه الحديث السابق، وقد جاء أكثر من حديث يصف هذه المعركة وهولها، وكيف يكون صبر المسلمين فيها، ثم يكون النصر لهم على أعدائهم، ويلاحظ أنه يكون في صفوف المسلمون أعداد كبيرة من النصارى الذين أسلموا وحسن إسلامهم، ففي " صحيح مسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يتزل الروم بالأعماق، أو بدابق " (٧٣)، فيخرج لهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا (٧٤) منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلوهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية (٧٥)، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فيتزل

(٧٠) رواه أبو داود في سننه (٢٧٦٧)، (٤٢٩٢)، وهو في " صحيح أبو داود " رقم (٣٦٠٧).

(٧١) " صحيح أبو داود " رقم (٣٦٠٨).

(٧٢) تدل الأحاديث النبوية الشريفة على أن الروم يكونون في آخر الزمان أكثر الناس عدداً، ففي مسند أحمد وصحيح مسلم عن المستورد أن رسول الله ﷺ قال: " تقوم الساعة والروم أكثر عدداً ".

(٧٣) موضعان بالشام قرب حلب.

(٧٤) سبوا، سبوا، روايتان، والضم رواية الأكثرين، وإن كان كلاهما صواباً، لأنهم سبوا أولاً، ثم سبوا الكفار.

(٧٥) هذا فتح آخر غير الذي تم على يد محمد الفاتح.

عيسى بن مريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، إِذَا رَأَى عَدُوَّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمَاءُ فِي الْمَلْحِ، فَلَوْ تَرَكَه لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ " (٧٦).

وقد حدثنا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر عن هول تلك المعركة، وعن الفدائية التي تكون في صفوف المسلمين، حتى أن مجموعات من المسلمين يتبايعون على القتال حتى النصر أو الموت ثلاثة أيام متوالية، ويبدو أن أعداد المسلمين في تلك الأيام قليلة، بدليل أن المسلمين ينتصرون عندما يصلهم المدد من بقية أهل الإسلام، ففي " صحيح مسلم " عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: " إن الساعة لا تقوم، حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة "، ثم قال بيده هكذا (ونحاهما نحو الشام)، فقال: " عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام " (٧٧)، قلت: الروم تعني؟ (٧٨) قال: " نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردةً شديدة (٧٩)، فيشترط المسلمون شرطاً (٨٠) للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء (٨١) هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطاً للموت، لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطاً للموت، لا ترجع إلا غالبية، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فيقتلون حتى يمسا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد (٨٢) إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة (٨٣) عليهم، فيقتلون مقتلة - إما قال: لا يرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجناحهم (٨٤)، فما يخلفهم (٨٥) حتى يخر ميتاً، فيتعاد (٨٦) بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يُفرح؟ أو أي ميراث يُقاسم؟ فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصرخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون (٨٧) ما في أيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة،

(٧٦) رواه مسلم في كتاب " الفتن " باب فتح القسطنطينية، (٤ / ٢٢٢١) رقم الحديث: (٢٨٩٧).

(٧٧) أي للحرب والقتال، وهذا إنما يكون بعد غدر الروم المشار إليه في الحديث السابق.

(٧٨) القائل هو راوي الحديث عن عبد الله بن مسعود، وهو يسير بن جابر.

(٧٩) ردة شديدة: أي عطفة قوية.

(٨٠) شرطاً: طائفة من الجيش تقدم للقتال.

(٨١) يفِيء: يرجع.

(٨٢) نهد: أي نهض، وتقدم.

(٨٣) الدبرة: أي الهزيمة.

(٨٤) جناباتهم: أي نواحيهم.

(٨٥) يخلفهم: يجاوزهم.

(٨٦) أي: يعد بعضهم بعضاً.

(٨٧) يرفضون: يتركون.

قال: قال رسول الله ﷺ: " إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ " (٨٨).

والظاهر من حديث " الملحمة " أن المسلمين سيكونون وقتها على قدر عظيم من القوة والبأس، حيث إنهم يغزون، ويُنصرون، ويغنمون، ويعودون سالمين، وواقعا اليوم يُبعد - والله أعلم - أن تكون " الملحمة " وشيكة طبقاً للأسباب العادية (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) [سورة الأنعام: ٨٠]. والواجب لمواجهة وتغيير هذا الواقع الأخذ بأسباب القوة والتمكين، وليس الهروب إلى سراب الأمان، والقعود عن العمل بحجة أنه واقع تسبب فيه من قبلنا، وسيصلحه من بعدنا.

(٨٨) صحيح مسلم، كتاب "الفتن"، باب إقبال الروم في كثرة القتل، (٤ / ٢٢٢٣) ورقمه: (٢٨٩٩).

موقعة "هرمجدون" كما يدعيها النصارى

هرمجدون Armageddon كلمة عبرية مكونة من مقطعين: " هو أو هار " معناها الجبل. و " مجدون ": اسم واد في فلسطين، يقع في مرج ابن عامر على بعد ٥٥ ميلاً شمال تل أبيب، و ٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا، و ١٥ ميلاً من شاطئ البحر المتوسط.

وقال د. فرنسيس دافيدسن في تفسير الإنجيل: " القصد من هرمجدون مجهول، والترجمة العادية " جبل مجدو " لا يمكن أن تكون صحيحة، إذ لا جبل في مجدو " (٨٩).

ولا يشير العهد القديم إلى هذا المصطلح، أما العهد الجديد فيذكرها في موضع واحد في سفر الرؤيا: " يجمعهم إلى الموضع الذي يُدعى بالعبرانية هرمجدون " الاصحاح (١٦ / ١٥). ومع أن اليهود لا يؤمنون بالعهد الجديد إلا أنهم استثمروا فكرة " معرة هرمجدون " لتوجيه الأحداث لصالحهم، وربما ادعوا أن يوم " هرمجدون " هو يوم " غضب الرب " المذكور في توراتهم.

ومعركة " هرمجدون " من منظور نصراني هي مجزرة بشرية هائلة أو حرب نووية يباد فيها معظم البشرية، وسوف تقع بين قوى الشر من جانب ممثلة في الشيطان وجنوده، يعاونه - في زعمهم - المسلمون وبعض الروس، وبعض المنشقين على الكنيسة، وبعض اليهود أيضاً، وبين قوى الخير من جانب آخر ممثلة في المسيح وقواته من الملائكة التي سترافقه في عودته، يعاونهم قوى الخير من البشر ومنها الشعب الأمريكي، وسوف تباد في هذه المعركة غالبية البشر.

وعقب نهاية المعركة بانتصار المسيح يقبض على الشيطان، ويأسره، ويسجنه. وأثناء المعركة سوف يُرْفَع الأبرار من النصارى المؤمنين بهذه العقيدة إلى السماء لمراقبة أحداثها من خلال السحاب، ثم يعودون سالمين إلى الأرض ليعيشوا مع المسيح لمدة ألف سنة في " الفردوس الأرضي " (٩٠).

(٨٩) " هرمجدون حقيقة أم خيال " د. أحمد حجازي السقا (ص: ٧).
(٩٠) انظر: " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " (ص: ٩٧ - ٩٩)، وقد صَحَّح عن من لا ينطق عن الهوى ﷺ أنه قال في شأن عيسى عليه السلام: " فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون " رواه أبو داود، وانظر: " صحيح الجامع الصغير " رقم (٥٢٦٥).

عندما يصدق الكذاب نفسه!

لقد افتري الأصوليون الإنجيليون الأكاذيب الكثيرة المتعلقة بنهاية الزمن، ووافقهم يهود عليها في الجملة، وما فتئوا يكررونها، ويلحون في تكرارها حتى صدقوا أنفسهم، ونسوا أنه مبنية على شفا جرف هار^(٩١)، وبلغ يقينهم بما حدًا جعلهم ينطلقون منها في حياتهم العملية.

يقول أحد الأصوليين الإنجيليين: " لا داعي للتفكير في ديون أمريكا الخارجية، أو ارتفاع الضرائب، أو مستقبل الأجيال القادمة، فالمسألة بضع سنوات، ويتغير كل شيء في العالم جذريًا " اهـ^(٩٢).

وقد أقام الإنجيليون موقعاً على الشبكة العنكبوتية " الإنترنت " أسموه: " كاميرا المسيح "، وهو موقع مسلط من خلال صورة حية على مدار الساعة بكاميرا فيديو على البوابة الشرقية في القدس القديمة " الباب الذهبي "، وهو المكان الذي يؤمنون أنه موضع المسيح عند عدوته إلى الأرض ثانية.

وقد نشر ذلك في جريدة الشرق الأوسط (٦ / ١٩٩٩ م) ونقلت الجريدة عن " كريستين دارج " قولها: " إن وضع الكاميرا الآن، يدل على أن المسيح قد اقتربت عودته، سواء هذا العام، أو العام الذي بعده " ^(٩٣).

هذا، وإن أخطر ما في فكرة " نهاية التاريخ "، و " مجيء المسيح اليهودي المحارب " أنها أسطورة لاهوتية تحولت - بتأثير النصرانية الصهيونية - إلى ثقافة صنعت سياسات، وصاغت مواقف.

فقد استثمرتها البروتستانتية الأصولية " في أمريكا، واستغلت عصر العولمة وواقع " القطب الواحد "، واعتبرت هذا العصر هو الفرصة السانحة لنشر النصرانية في ربوع العالم أجمع، ومن يمتنع: فالويل له، أو: " هرمجدون " له!

^(٩١) وقد تأثر بها بعض المسلمين، حتى أن رجلاً أراد أن يشتري سيارة لتجارته، فلما تشبع بأخبار " هرمجدون " أجل شراءها، لأن هذه الحرب ستكون على الخيل، فخشي أن يشتري السيارة، ولا ينتفع بها كما في " أشراط الساعة " لأحمد أبي العينين، هامش (ص: ٣١).

^(٩٢) " القدس بين الوعد الحق، والوعد المفتري " (ص: ٣٧).

^(٩٣) " حمى سنة ٢٠٠٠ " (ص: ٢٣٨).

وإن العديد من رؤساء أمريكا يؤمنون بعقيدة " هرمجدون "، ولعل أشهرهم في ذلك " ريجان " .

فقد نشرت مجلة " سان دييجو " في عدد أغسطس عام ١٩٨٥ حديثاً مع الرئيس " ريجان " قال فيه إنه مقتنع بأن المعركة الأخيرة " هرمجدون " بين يأجوج ومأجوج كما وردت في سفر حزقيال أصبحت وشيكة، ونسبت إليه قوله: " إن أرض إسرائيل ستعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة ^(٩٤)، وإن ليبيا ستكون من بين تلك الأمم، إن يوم هرمجدون لم يعد بعيداً... " .

وقال " ريجان ": " إنني مؤمن من كل قلبي أن الله يرعى أناساً مثلي ومثلكم لإعداد العالم لعودة ملك الملوك، وسيد الأسياد " ^(٩٥) .

وبعد الغزو العراقي للكويت في أغسطس عام ١٩٩٠ روج اليمين النصراني سيناريو أن " صدام حسين " هو المسيح الدجال، الذي سيدعمه الروس في الحرب على إسرائيل، بما يمهد لمعركة هرمجدون بين قوى الشر (المسيح الدجال والعرب والروس) وقوى الخير (أمريكا وإسرائيل)، لينتهي العالم ويعود المسيح ^(٩٦) .

ويقول أيضاً: " إن معركة هرمجدون قد حدثت في يوم الرب، في الساعة التي أنبأ المسيح عيسى عليه السلام أنهم سيهلكون فيها إذا لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، والتاريخ يشهد بذلك، فإن هذه المعركة قد حدثت في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه " اهـ ^(٩٧) .

ثم يقول: " ودانيال النبي في الأصحاح الثامن من سفره أنبأ عن هزيمة المسلمين وانتصار اليهود عليهم في فلسطين سنة ١٩٦٧ م، ثم أنبأ عن هزيمة اليهود من بعد الانتصار.. فعندنا نبوءتان: نبوءة يوم الرب، وقد تمت في سنة ٦٣٨ م، ونبوءة فساد بني إسرائيل وعلوهم مرتين... وقد تم العلو الكبير في سنة ١٩٦٧ م، ونحن نعاصر في زماننا هذا رد العلو الذي هو هزيمة اليهود وطردهم من فلسطين، لقوله: (فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ) [سورة الإسراء: ٥] .

^(٩٤) يعنون بذلك - المسلمين - في زعمهم، بمعاونة الروس.

^(٩٥) " حمى سنة ٢٠٠٠ " (ص: ٢٠٣).

^(٩٦) " المسيح اليهودي " (ص: ١٣٦).

^(٩٧) السابق " (ص: ٢٢).

إلى أن قال: " فهرمجدون قد تمت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي المسماة في الكتب الإسلامية، بمعركة اليارموك، وما نعاصره اليوم هو أحداث فساد وعلو اليهود في المرة الأولى، واليهود والأمريكان والمسيحيون يعرفون هذه التفرقة، ويشوشون عليها " اهـ ^(٩٨).

^(٩٨) " السابق " (ص: ٢٣).

اليهود يهربون إلى "هرمجدون"

قال د. السقا: " وفي عصرنا هذا أتى اليهود من بلاد كثيرة إلى أرض فلسطين، وحاربوا المسلمين أهل فلسطين، وأخذوا منهم أرضهم وديارهم وأموالهم ظلماً وعدواناً، وقتلوا كثيرين، واستفروا كثيرين للخروج من فلسطين، وشجعوا اليهود الساكنين في بلاد العالم على الهجرة إلى فلسطين؛ ليكثر عددهم، فيقيموا لهم مملكة عظيمة كمملكة دواد وسليمان - عليهما السلام - وقد هاجر كثيرون من اليهود إلى فلسطين، وزاحموا أهلها في العيش فيها، وتناولوا عليهم بكل أنواع الأذى، وقد رد أهل فلسطين عليهم بما قدروا عليه، وقتلوا منهم - على قدر طاقتهم - ما لا يُعد ولا يُحصى، وعندئذ خاف المهاجرون على حياتهم، فامتنعوا عن البقاء، وسمع بخوفهم من كان يريد الهجرة؛ فلم يهاجر، وكيف يهاجرون إليها وهم سيعيشون في رعب وخوف.

فلما توقفت الهجرة؛ احتال اليهود على إخوانهم بحيلة طريفة هي: أننا نعيش اليوم في عصر معركة "هرمجدون"، ويجب عليكم أن لا تخافوا من الهجرة، فإننا سننتصر وسنقيم مملكة الرب، وإذا أقمناها سوف يراها "المسيح المنتظر" ويأتي ليقودنا جميعاً إلى حرب الأمم، وفتح بلادهم، والملك عليها "اهـ"^(٩٩).

^(٩٩) "السابق" (ص: ٢٠).

مقارنة بين "الملحمة" و "هرمجدون"

لقد أُفحم مصطلح "هرمجدون" مؤخراً في لغتنا اليومية، مع أنه مصطلح "عبري"، ولو افترضنا - جدلاً - أن "هرمجدون" هي "الملحمة"، فإن من الخطأ العدول عن الاصطلاح النبوي العربي إلى اصطلاح عبراني نصراني:

عن محمد بن عبد الله بن الحكم، قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: "سمى الله الطالبين من فضله في الشراء والبيع تجاراً، ولم تزل العرب تسميهم التجار، ثم سماهم رسول الله ﷺ بما سَمَّى الله به من التجارة، بلسان العرب، والسماسة اسم من أسماء العجم، فلا نحب أن يسمى رجل يعرف العربية تاجراً، إلا تاجراً، ولا ينطق بالعربية، فيسمي شيئاً بالعجمية، وذلك أن اللسان الذي اختاره الله - عزَّ وجلَّ - لسان العرب، فأُنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ^(١٠٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: "فقد كره الشافعية لمن يعرف العربية، أن يسميَ غيرها، وأن يتكلم بها خالطاً لها بالعجمية، وهذا الذي ذكره قاله الأئمة، وهو مأثور عن الصحابة والتابعين^(١٠١).

وقد كان الذين أقحموه في لغتنا مضطربين انتقائين في تعاملهم مع هذا المصطلح: فهم أخذوه عن أهل الكتاب علماً على معركة تقوم بينهم وبين المسلمين، يزعم أهل الكتاب أنها تنتهي بانتصارهم علينا، في حين جزم الذين أقحموه على ساحتنا الفكرية مؤخراً أنه اسم لنفس الملحمة التي بشر النبي ﷺ بأنها ستنتهي بانتصار المسلمين، وهالك حاصل الفروق الأساسية بين "الملحمة" وبين "هرمجدون".

الأول؛ أن خبر الملحمة ثابت عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، كما تقدم، أما "هرمجدون" فاصطلاح نصراني إسرائيلي لا يُدرى مدى مصداقيته، ولا ثبوته، وهو مجرد اسم للموضع الذي يُدعى أن المعركة ستقع فيه، في حين ثبت عنه ﷺ تسمية موضع الملحمة بأنه "الأعماق" أو "دابق" موضعان بالشام قرب حلب^(١٠٢).

^(١٠٠) "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" (ص: ١٦٠).

^(١٠١) "السابق" (ص: ١٦١).

^(١٠٢) ولفظ الحديث: "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج لهم جيش من المدينة" الحديث. رواه مسلم (٢٨٩٧).

الثاني؛ ستقع الملحمة بين أهل الإسلام أتباع خير الأنام ﷺ، وبين الروم النصارى الضالين، في حين يدعي أهل الكتاب أن معركة " هرمجدون " طرفاها: قوى الشر، ممثلة - في زعمهم - في المسلمين ومن حالفهم، وقوى الخير وهم النصارى في زعمهم.

الثالث؛ ثبت أن الله عزَّ وجلَّ ينصر المسلمين على أعدائهم في " الملحمة "، في حين يدعي أصحاب " هرمجدون " أن الغلبة ستكون لهم على " قوى الشر " وهم المسلمون في زعمهم.

الرابع؛ يحدد أهل الكتاب موعد " هرمجدون " ويتظنون فيه مسيحيهم على رأس الألف^(١٠٣) سواء الأولى أو الثانية، فإن طال الزمان فسيبتظرونها في الألف الثالثة، أما الأحاديث النبوية الشريفة فلم تحدد موعداً للملحمة سوى أنها من أشراط الساعة.

وقد ذهب بعض الباحثين المسلمين المتخصصين في كتب أهل الكتاب إلى أن المقصود من " هرمجدون " معركة اليرموك (سنة ٦٣٨ م) كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

الخامس؛ أن الترويج لمصطلح " هرمجدون " يعني بالتبع الترويج لمفاهيم يهودية نصرانية لا أصل لها في دين الإسلام، بل التعامل معها على أنها حقائق مُسلمة، أضف إلى ذلك أن لهذه المفاهيم أبعاداً سياسية خبيثة تُظهر أن الاستسلام لليهود الغاصبين أمر حتمي قدره لا مناص منه، وكما آمنت " النصرانية الصهيونية " بهذه الجبرية الحتمية، فكذلك تدعو فكرة " هرمجدون " المسلمين إلى أن ينضموا لهذا القطيع الصائر إلى مصيره المحتوم، وأن ضياع فلسطين، واغتصاب القدس، بل هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم فوق أنقاضه أمور " حتمية " ينبغي الاستسلام لها، وقد وقع في هذا " الفخ " كثير من الكُتَّاب المعاصرين حتى حدد بعضهم باليوم والساعة موعد هدم الأقصى^(١٠٤)، صانه الله من كل سوء، وحفظه من شر المغضوب عليهم والضالين.

^(١٠٣) حسب اعتقاد بعضهم، في حين ينتظرها البعض الآخر " خلال " الألف سنة، وعليه فمعنى " الألفية " عندهم: محتوى الألف.

^(١٠٤) يقول صاحب كتاب " أسرار الساعة " - ولا يستثني - : " في ١ / ١ / ١٩٩١، وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٩ هـ يتم ارتكاب العمل الكوني المفزع، وهو تفجير المسجد الأقصى... "

وبعد تفجير المسجد الأقصى مباشرة يتم دخول الجيوش الغربية الأردن وفلسطين، وتطوق القدس حماية لليهود، حتى يكملوا بناء الهيكل مكان المسجد " اهـ (ص: ١٣٦).
ويدعي عيسى محمد داود - طبقاً للجفر المزعوم - أن " الهيكل سيعاد بناؤه " اهـ، من " المفاجأة " (ص: ١٣٦).

وصدق الشاعر إذ يقول:

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ من نفسه

آخر:

تالله ما ظفر العدو بمثلها يا خيبة المنتكب الحيران

إن " هرمجدون " ضد السنن الكونية والشرعية، و " الملحمة " متوافقة معها، " هرمجدون " يأس وقنوط، والملحمة: بشرى وأمل.

إن " هرمجدون " تُحبط وتُخَدِّل، و " الملحمة " تنعش الرجاء، وتبعث الأمل.

" هرمجدون " تدعو إلى استحضار هزيمتنا كأمر واقع، و " الملحمة " تجعل انتصار المسلمين هو الأمر الواقع.

وهذا كله من شؤم " الهرمجدونية " ومحاولة أسلمتها بدعوى أنها مرادفة " للملحمة "، فأسلمة هرمجدون تعني " صهينة " المسلمين كي يدوروا في فلك الأعراض الصهيونية مع توابعها من النصرانية الصهيونية، والبهائية، ونحوها. فيا قوم لا تعطوا بسذاجتكم وجهلكم اليهود فأساً ليهدموا بها المسجد الأقصى حرسه الله، وصانه من كل سوء.

العقيدة الألفية

الألفية معناها: محتوى الألف، وهي في الأصل عقيدة يهودية يؤمن أصحابها بأنه على رأس كل ألف^(١٠٥)؛ لا بد أن يشهد العالم أحداثاً كبرى، وستظل تتتابع حتى يجيء الألف الأخير الذي يأتي بصحبته " الملك الألفي " الذي يحكم العالم كله بعد فترة من الاضطرابات والحروب والفتن، فالمسيح سيأتي - حسب معتقد اليهود - قبل يوم السبت، أي قبل اليوم السابع الذي يعني الألف السابعة^(١٠٦) من عمر الدنيا^(١٠٧).

إن العقيدة الألفية - أي حكم المسيح كملك للعالم لمدة ألف سنة - هي عقيدة يهودية تقوم على الإيمان بمخلص سوف يأتي ليفدي شعب إسرائيل، وينقذه من عذاب المنفى، ويقوده عائداً إلى اورشليم ليفرض منها الحكم على كل أمم الأرض، والمسيح المنتظر " يهودي " ستكون مهمته العالمية خلاص الشعب وحكم العالم بشرعية صهيون^(١٠٨) (انظر أشعياء ٢: ٢ - ٤).

(والمنتظر الذي ينتظره اليهود؛ يؤمنون بأنه سيخرج من نسل داود قبل قيام الساعة، أو في " الأيام الأخيرة " كما هو الشائع في تعبير التوراة، وعندما يخرج سيحارب أعداء " إسرائيل "، ويتخذ من القدس عاصمة لمملكته، ويعيد بناء الهيكل على الصبغة اليهودية، أو يعود بعد بنائه - على اختلاف بينهم - ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية " أي التوراة والتلمود "، ويبدأ مع عودته الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام، ومن هنا جاءت " العقيدة الألفية " التي هي في الأصل عقيدة يهودية، ولكن النصراني تبناها وركبها على مولد المسيح عيسى ابن مريم بحيث يعتقدون بعودته عند بداية ألفية من ميلاده)^(١٠٩).

^(١٠٥) " ألف " ماذا؟ والتقويم الذي تحسب به الألفية مرتبط بميلاد المسيح عليه السلام، والكتب التي يؤمن بها اليهود - والتي يفترض أنها مصدر الاعتقاد الألفي عندهم - متقدمة على ميلاد المسيح عليه السلام.

^(١٠٦) انظر إبطال ذلك في " المهدي وفقه أشراف الساعة " (ص: ٦٨٢ - ٦٨٤)، وراجع هامش (٢) ص (٤٣).

^(١٠٧) " حمى سنة ٢٠٠٠ " (ص: ٢٠٤).

^(١٠٨) " المسيح اليهودي " (ص: ٢١٨).

^(١٠٩) " نذير ونفير " (ص: ١٨١)، ومن الجدير بالذكر هنا أن كلتا الأمتين " اليهود والنصارى - تؤمن بأن منتظرها إذا خرج فسوف يحكم العالم من " اورشليم "، ومن الهيكل الثالث، فعلى حين تعترف طوائف من النصراني بأن بناء الهيكل الثالث سيؤدي إلى ظهور المسيح للمرة الثانية، فإن اليهود

إذن الاعتقاد في الألفية مفهوم يهودي الأصل، تسرب إلى النصرانية من خلال إيمانها بالتوراة التي جاء الإنجيل ليكملها فقط، وتطور من خلال سفر " رؤيا يوحنا " ليربط الألفية بمعركة " هرمجدون " .

إن " الألفية " عند النصارى ليست مجرد ذكرى ميلاد المسيح، بل هي بوابة العبور إلى عصر جديد حين يعود المسيح، ومما يدل على عمق إيمان النصارى بالعقيدة الألفية؛ أنهم قد أصابتهم الحمى الألفية على رأس الألف الأول، وظهر أثر ذلك في الحملات الصليبية الشرسة التي اندفعوا بها نحو الشرق للاستيلاء على القدس عاصمة المبعوث الألفي - في زعمهم -، ولما لم يظهر، ولم يعد؛ استأنفوا الانتظار للألف التي تليها^(١١٠).

يعتقدون بأن بناء سيؤدي إلى مجيء المسيح للمرة الأولى، وهو عند اليهود بالطبع غير المسيح ابن مريم عليه السلام " اهـ. من " السابق " (ص: ١٨٢).
(١١٠) " حمى سنة ٢٠٠٠ " (ص: ٢٠٤).

حمى الألفية وراء الحملات الصليبية

بعد اكتمال الألف الأولى سيطرت المشاعر المرتبطة بفكرة " نهاية الحياة الدنيا " على الغرب الصليبي، واستطاع " أربان الثاني " ^(١١١) الملقب بالبابا أن يوحد شعوب الغرب الأوربي في مشروع عام هو " الحرب المقدسة "، واستغل فكرة " الألفية "، وتوقع مجيء " يوم الدينونة " في الترويج لهذه الحرب، مما ضاعف من أعداد " الحجاج " النصراري القادمين إلى فلسطين، ليكونوا هناك زمن خروج المسيح الدجال لكي يحاربوه، ولكي يشهدوا عودة المسيح على الغمام، وشاعت أخبار المنامات التي رأى الغربيون أنها مقدمات قيام الساعة، فهذا المؤرخ " رودلف جلاير " يقول في سنة (١٢٠٨ م): " بعض الأشخاص من ذوي المكانة والسلطة يتشاورون في موضوع الأحداث الخارقة التي جرت للشعب في أورشليم، وهي أحداث عجيبة للغاية، وكانوا يجيبون بحكمة بأن هذه هي علامة ما قبل مجيء المسيح الدجال الخائن، الذي كان الناس ينتظرون قدومه قرب نهاية الألف بإيمانهم بالكتاب المقدس، كما أن كل الأمم شقوا طريقاً صوب الشرق لكي يسيروا عليه لملاقاته " اهـ.

لقد عادت فكرة الخلاص تؤرق الصليبيين لما ادعوه من اقتراب نهاية العالم، وصهروها في بوتقة واحدة مع ما أطلقوا عليه: الحج المقدس، والحرب المقدسة.

لقد أصدر الكاتب الفرنسي " سيلفان جوجنهايم " كتاباً بعنوان " الرعب الزائف للعام ألف " قرر فيه اقتناع الغرب الأوربي بأن القيامة إما مع الألف الميلادية الأولى، وإما بعدها بقليل ^(١١٢)، فقد كان " قلق القيامة " موجوداً بين عام (٩٥٠ و ١٠٤٠ م)، ودعا إلى إعادة تقويم مصادر هذه الفكرة، وكيفية تفسيرها، واستشهد بموقف القس " دي فلوري أبون " في سنة ٩٤٤ م الذي انتقد فكرة القيامة بعد العام ألف، عندما سمع في كاتدرائية باريس موعظة جاء فيها: " إن المسيح الدجال سيظهر بمجرد تمام العام ألف، وسيعقبه بوقت قصير الحساب الأخير "، ودحض " أبون " هذه الفكرة بأن العالم لا يزال

^(١١١) وحينما عقد " أوريان الثاني " الملقب بالبابا اجتماعاً في " كليرمونت " بفرنسا في ٢٦ نوفمبر ١٠٩٥ م، ألقى خطابه الشهير الذي أشعل به شرارة الحرب الصليبية، وقال - عليه من الله ما يستحقه -: " بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين المسيحيين في أوربا، ويتجهون بأسلحتهم إلى سحق الكفرة البرابرة المسلمين، اذهبوا وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار، وأمتلكوها لأنفسكم، فإنها - كما تقول التوراة - تفيض لبناً وعسلاً ".
^(١١٢) وهذه نفس الحمى الألفية التي عاودتهم نكستها منذ بداية الألفية الثالثة.

شأباً، وانتقد الذين تعلموا اختلاق حوادث خارقة ادعوا حدوثها في العام ألف ليقنعوا الناس بفكرة الألفية " اهـ (١١٣).

إن اليهود لا يوافقون النصارى بالطبع في مفهومهم عن الألفية، فالمعركة العظمى عندهم هي " يوم غضب الرب " وليس " هرمجدون "، كما أن الذي سيظهر - طبقاً لعقيدتهم - هو " المسيح المنتظر " الآتي للمرة الأولى، وليس المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وبالرغم من ذلك فإن اليهود يُروجون لعقيدة " هرمجدون " في الفكر النصراني الغربي، بل ينفقون الأموال الطائلة لترسيخها في عقل الغرب الخاوي دينياً، لأنها تحدم أهدافهم السياسية في تكوين وطن قومي لهم في فلسطين من جانب، كما تساعد على تحقيق حلمهم في السيطرة على العالم من جانب آخر، وهو ما يعني تسييس الدين في خدمة الأهداف القومية اليهودية، بل تنظم الدولة اللقيطة رحلات سياحية دورية لجذب المؤمنين بالهرمجدون من كل دول العالم وفي مقدمتها أمريكا، لزيارة وادي هرمجدون مسرح العمليات المرتقبة، ومكان معركة نهاية البشر، التي يدعون أن من يدركها أو يدرك العودة الثانية للمسيح فإن شبابه سوف يتجدد، ليبدأ حياة سعيدة لمدة ألف سنة من السلام التام (١١٤).

وصدق الله العظيم إذ يقول: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أُشْرِكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحَّزٍ حِجَّهُ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) [سورة البقرة: ٩٦].

" إن نظرية " هرمجدون " تتردد كثيراً في الأزمات، فحين اجتاحت إسرائيل لبنان في سنة ١٩٨٢ م، قام أحد دعاة البارزين في التلفزيون الأمريكي، ويدعى " بات روبرتسون " بعرض الرعب الآتي المتمثل في معركة " هرمجدون "، وأكد أنه مع نهاية عام ١٩٨٢ م ستكون هناك قيامة على الأرض، وأن هذه القيامة ستكون في الاتحاد السوفيتي أساساً، لأنه سيخوض مغامرة، ويبدأ بضرب أمريكا بالأسلحة النووية.

وفي حرب تحرير الكويت سنة ١٩٩١ م صدرت مثل هذه النبوءات، وزعم بعض الزعماء الأصوليين أن حرب الخليج الثانية هي بداية لدمار العالم وعودة المسيح الثانية، بل إن هذه العقيدة استخدمت في القرون الوسطى حين نشبت الحروب الدينية في

(١١٣) انظر: " الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية " للدكتور قاسم عبده قاسم - نشر مؤسسة سعيد للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية - الهرم - الجيزة - ط. أولى ١٩٩٩ م - (ص: ١١ - ٣٨).
(١١٤) انظر: " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " (ص: ٩٧ - ٩٩) بتصرف.

أوروبا، وحين شنت أوروبا حروبها الصليبية على المشرق الإسلامي، فقد روّجوا حينها لأسطورة هائلة، وهي أنهم مدفوعون لشن هذه الحملات الممجية من أجل " تحرير " القدس حين يعود المسيح للظهور ببيت المقدس " (١١٥).

(١١٥) " حرب أمريكا المقدسة " (ص : ٤٢).

أسلمة "هرمجدون" جريمة... فاحذروها!

إن الذين اعتادوا تبسيط ما لا يمكن تبسيطه يختزلون ظاهرة " الترويج لهرمجدون والألفية " لكي تصبح - بسداجة - مجرد " مرادف " للفظة " الملحمة " الثابتة في الحديث الشريف، دون أن يدركوا الآثار السياسية الخطيرة المترتبة على الترويج لهذه الظاهرة، والتي ما كانت لتظهر لو اقتصرنا على " الملحمة " بمفهومها الإسلامي الخالص.

يقول بعض المتحمسين لفكرة " هرمجدون والألفية " وكأنه نصَّب نفسه وصياً على أمة الإسلام، أو متحدثاً باسمها: " ثم إننا - أي المسلمين - نقول: قد يكون الأمر كما يقولون - أي اليهود والنصارى - من أن قيام الساعة سيكون سنة ٢٠٠٠ م، وقد يتقدم قليلاً، وقد يتأخر قليلاً، ولكن الأمر لا يعدو أن يكون متأرجحاً بين القليل والقليل " اهـ^(١١٦).

لقد ذكرنا فيما مضى أن الاعتقاد الألفي يهودي الأصل، وأنه تسرب إلى النصرانية وتطور إلى مفهوم هرمجدون "، ثم توطأ اليهود والنصارى عليه بصوررة مجملة انطلاقاً من مبدأ التراث " اليهود - مسيحي "، فما شأننا نحن المسلمين بهم؟ ألم يفرض الله عزَّ وجلَّ علينا - على سبيل الحتم واللزوم - أن ندعوه سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة أن: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) [سورة الفاتحة: ٦ - ٧].

فما بالنا نلهث وراءهم، ونقتفي أثرهم؟ ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة الجاثية: ١٨]. فما بالنا نتقمص " أهواء الذين لا يعلمون " وننسى تحذير رسول الله ﷺ في قوله: " لتتبعن سنن من قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً " حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم "، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: " فمن؟! " ^(١١٧).

^(١١٦) "هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام" (ص: ٥).

^(١١٧) رواه البخاري (١٣ / ٢٥٥)، ومسلم (٢٦٦٩).

بريق الرقم " ألف "

لقد انبهر بعض المسلمين ببريق الرقم " ألف "، باعتباره رقماً صحيحاً ضخماً نادراً لا بد أن يقترن - في وهمهم - بأحداث ضخام، وأن يكون جديراً بأن يصبح نقطة تحول في التاريخ البشري، وبهذا تسربت إليهم عدوى " هوس الألفية " اليهودي - نصرانية، وانساقوا وراءها انبهاراً بالرقم (٢٠٠٠) ^(١١٨)، وجهلوا أو تجاهلوا أموراً:

الأول؛ أن ربط الأحداث الهامة بهذا الرقم الألفي باعتباره يستحق أن يكون نقطة تحول مصيرية وتاريخية لم يرد في الكتاب الكريم ولا السنة الشريفة دليل عليه، ولا يصح التعويل في هذا على المصادر الإسرائيلية المحرقة (لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ) [سورة النساء: ١٢٣].

الثاني؛ أن هذا منهج مرفوض من الناحية العقلية، لأن أرقام السنوات والعقود والقرون تشبه خطوط الطول والعرض في الخرائط الجغرافية، في كونها خطوطاً وهمية مجرد تمييز الحدود بين الأماكن والأزمنة، دون أن يكون لها ارتباط أو تأثير بأحداث الدنيا ^(١١٩).

الثالث؛ أنه إن كان - ولا بد - من هذا الربط؛ فإنه سيكون بالتقويم المعتمد عند الله تعالى، وهو التقويم بالأهلة الذي تحسب به الشهور العربية، المقصود من قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ^(١٢٠)) الآية، [سورة التوبة: ٣٦]، وليس بالتقويم الشمسي الذي تحسب به

^(١١٨) وبلغ " هوس الألفية " والانبهار بالرقم (٢٠٠٠) إلى حد أنهم خدعوا أنفسهم، وأقاموا الاحتفالات في أول يناير (٢٠٠٠) باعتباره مفتتح الألفية الثالثة، مع أن سنة ٢٠٠٠ هي بداية السنة الأخيرة من الألف الثانية.

^(١١٩) اللهم إلا إذا دل دليل صحيح على ذلك كقول النبي ﷺ: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها " رواه أبو داود، والحاكم، وغيرهما، وصححه الألباني. ^(١٢٠) فقوله تعالى: (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) يدل على أن ما سواه من عادات الأمم الأخرى ليس قيماً؛ لما يدخله من الاضطراب والانحراف.

شهور السنة الميلادية الذي تمدر الشريعة اعتباره في أحكامها، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ
الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [سورة البقرة: ١٨٩] ^(١٢١).

وعن أبي بكره رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " إن الزمان قد استدار كهيأته
يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنتا عشر شهراً، منها أربعة حُرْم: ثلاث
متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والحرم، ورجب مُصَر الذي بين جمادى وشعبان " ^(١٢٢)
الحديث.

وعن الشعبي قال: كتب أبو موسى إلى عمر: " إنه يأتينا كتب ما نعرف تاريخها،
فأرّخ "، فاستشار أصحاب النبي ﷺ، فقال بعضهم: " أرّخ لمبعث رسول الله ﷺ "،
وقال بعضهم: " أرّخ لموت رسول الله ﷺ "، فقال عمر رضي الله عنه: " أرّخ لمهاجر
رسول الله ﷺ، فإن مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله فرق بين الحق والباطل، فأرّخ " ^(١٢٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " فإن اتخذ هذا الميلاد ^(١٢٤) عيداً
هو دين النصرى، وليس لذلك أصل في دين الإسلام، ولم يكن لهذا الميلاد ذِكْرٌ أصلاً
على عهد السلف الماضين، بل أصله مأخوذ عن النصرى " ^(١٢٥).

^(١٢١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " فظهر بما ذكرنا " أنه بالهلال يكون توقيت الشهر
والسنة، وأنه ليس شيء يقوم مقام الهلال البتة " اهـ. من " مجموع الفتاوى " (٢٥ / ١٤٠)، وقال
أيضاً: " لما ظهر بما ذكرنا عود المواقيت إلى الأهلة ؛ وجب أن تكون المواقيت كلها معلقة بها " اهـ. من
مجموع الفتاوى " (٢٥ / ١٤٣).

^(١٢٢) رواه البخاري (١٠ / ٦)، ومسلم (١٦٧٩).

^(١٢٣) " المصنف " لابن أبي شيبة (٣٣٩٥٢).

^(١٢٤) أي ميلاد المسيح عليه السلام.

^(١٢٥) " اقتضاء الصراط المستقيم " (ص: ٢٢٦)، وإن مما يؤسف له أن يسود التأريخ الميلادي في معظم
بلاد المسلمين، ويهجر التأريخ الهجري، حتى صار الناس - إلا من رحمهم الله - لا يعرفون أسماء
الشهور العربية، ولا تاريخ اليوم أو الشهر فضلاً عن السنة الهجرية، ولا يعرف تاريخ ميلاده
الهجري، الأمر الذي أدى إلى أن تمر بهم مواسم فاضلة سنّ فيها التعبد والصيام، وتفوتهم دون أن
ينتبهوا لها بسبب هجر التأريخ الهجري.

الأبعاد السياسية للعقيدة الألفية

تكمن الأبعاد السياسية للعقيدة الألفية " السعيدة " التي يروج لها اليهود في أكبر عملية " غسيل مخ " عالمية، تبلور في عدة عوائد هي:

(١) قبول العالم لمبدأ أو فكر الإبادة الذي تعتقه إسرائيل في كل سلوكها:

وهو فكر على العالم قبوله على اعتبار أنه المدخل الطبيعي للحياة السعيدة للرجل الغربي الذي يؤمن بالنصرانية، وبأن خلاصه لن يتحقق إلا بالعودة الثانية للمسيح.

(٢) قبول العالم لفكر إبادة عرب المنطقة:

على أنه لا دخل لإسرائيل في هذا الفكر من قريب أو بعيد، وعرب المنطقة غير مقصودين بالإبادة لذاتهم، وإنما هذه شعوب وُجِدَتْ - اتفاقاً - في منطقة المعركة القدرية التي سوف تمهد للمجيء الثاني للمسيح، وربما روجت إسرائيل لأنها ستكون أحد ضحايا هذه المعركة.

(٣) تبرئة ساحة إسرائيل من الاتهام بالعمل على وقوع هذه المعركة النووية^(١٢٦) المتوقعة:

فالقضية لا تتجاوز كونها نبوءة إنجيلية على العالم النصراني العمل على تحقيقها لصالحه في المقام الأول والأخير، شاءت إسرائيل هذا أم أبت، إذ أنها مجرد وسيلة لتحقيق مشيئة الله في زعمهم.

(٤) التمهيد لإنشاء دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات^(١٢٧):

^(١٢٦) يدندن " الهرمديون " حول كونها معركة نووية مدمرة شاملة، ترى هل نجد في هذا تفسيراً للصمت الأمريكي المطبق عن الترسنة النووية لدى الدولة اللقطة؟
^(١٢٧) ينبغي أن ننتبه إلى تفريق القوم بين إسرائيل " الأرض "، وإسرائيل " الدولة "، فكل ما سُمي في كتبهم المقدسة أرض إسرائيل فهي بمعناها التوراتي من النيل إلى الفرات، وهو مرادف للأرض الموعودة، التي يرونها ملكاً لهم سواء سكنوها أم لم يسكنوها، ونظرة إلى عملتهم، بل علم دولتهم - فضلاً عن تصريحات ساستهم - تؤكد هذا المفهوم، أما إسرائيل " الدولة " فهي الحدود التي وصلوا إليها حتى اللحظة الحاضرة، وقد سأل المستشار الألماني " هونكر " " هرتزل " عن الأرض التي يريد؟ فقال: " سنطلب ما نحتاجه، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان "، وقال " بن جوريون ": " حدودنا

باعتبار أن هذا وعد إلهي ورد في كتابهم بأنهم يمتلكون أرض الميعاد، وبالتالي يتحتم على كل نصراني يؤمن بهذا الكتاب أن يسعى لتحقيق هذه النبوءات حتى ينال رضا الرب في زعمهم^(١٢٨).

حيث يصل جنودنا"، وقالت "جولدا مائير" لمن سألها عن حدود الدولة: "حدودنا حيث يقف آخر جندي إسرائيلي" وانظر: "حمى سنة ٢٠٠٠" (ص: ٣٥).
^(١٢٨) "البعث الديني في الصراع العربي الإسرائيلي" (ص: ١٠٦).

قصة الهيكل (١٢٩)

جدّد (١٣٠) سليمان عليه السلام بناء الهيكل لعبادة الله وحده لا شريك له، وشيّدته تشييداً عظيماً منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة، وعندما أتم بناءه تضرع إلى الله أن يحفظ هذا البيت، ويدم ملك بني إسرائيل، فأخبره الله أنه لن يفعل ذلك إلا إذا حفظ اليهود عهدهم مع الله، والتزموا بوصاياه وشرائعه، وإلا فسوف يبيد ملكهم، ويدمر لهم هذا البيت، ويشتتهم، ويقضي عليهم " (١٣١).

وعاد اليهود إلى كفرهم وعنادهم وعبادتهم الأوثان في هيكل سليمان، فأرسل الله الرسل لينذروهم ويحذروهم، كإشعيا، وإرميا، ودانيال، وحزقيال، ونبأوهم أن الله سيدمر لهم هيكلهم، ويحرب لهم مدتهم، ويسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، ويشتتهم.

كما نبأهم هؤلاء الرسل بحصول السبي البابلي والشتات، ثم عودتهم إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل إذا تابوا إلى الله خلال فترة السبي، وقد وقع كل هذا (١٣٢)، وأعاد اليهود بناء الهيكل للمرة الثانية في عهد " قورش " ملك فارس، ثم جدّده - بعد خمسة قرون - " هيرودس " الروماني في ٢٠ ق. م، وبقي هكذا حتى أرسل الله إليهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فوجدهم قد اتخذوه سوقاً للصرافة والتعامل بالربا، وملهى لسباق الحمام، ومعبداً للأوثان، فقام بطرد اليهود منه بعد أن وبّخهم، وأنبأهم بأن الله سيدمر لهم مدينتهم وهيكلهم.

وهاك بعض نصوص الإنجيل في هذا الشأن:

(ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص) (متى ٢١ / ١٢ - ١٣).

(١٢٩) باختصار من " الحرب العالمية القادمة " (ص: ١٥٣ - ١٥٧).

(١٣٠) يُنسبُ بناء الهيكل - خطأ - إلى سليمان عليه السلام، وإنما بناه أول مرة إبراهيم عليه السلام.

(١٣١) انظر: " سفر الملوك الأول " (٩ / ٣ - ٩).

(١٣٢) وخرّب ملك بابل " نبوخذ نصر " أورشليم، ودمّر الهيكل، وأحرقه بالنار، وسلب كنوزه، وقتل اليهود، وأسر من تبقى منهم، واستعبدهم عام ٥٨٧ ق. م، ثم غزا " قورش " ملك فارس مملكة بابل، وأخضعها لحكمه، فأصبح له - تبعاً لذلك - السلطان على مملكتي يهوذا وإسرائيل الخاضعتين لبابل، وفي عام ٥٣٨ ق. م أصدر " قورش " قراراً سمح لليهود أن يعودوا إلى فلسطين، وأعادوا بناء الهيكل باسم هيكل " زربابل ".

(يا أورشليم... يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم هيكلكم يترك لكم خراباً) (متى ٢٣ / ٣٧ - ٣٨).

(.... فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم: إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض) (متى ٢٤ / ١).

لكن عيسى عليه السلام نبأهم بخراب الهيكل، ولم ينبئهم بإعادة بنائه مرة أخرى كما فعل أنبياءهم السابقون.

وتحققت نبوءة عيسى عليه السلام عام ٧٠ م عندما هجم " تيطس " الروماني على مدينة القدس ودمر المعبد اليهودي تدميراً ولم يبق فيه حجر على حجر، وأحرق المدينة بأكملها، وقتل منهم أعداداً كبيرة، وهرب من نجا منهم من القتل ليتشردوا ويتشتتوا في أنحاء متفرقة من العالم.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح المسلمون مدينة القدس، وكانت آنذاك خاضعة للإمبراطورية الرومانية البيزنطية، وفي عهد الخلافة الأموية بنى عبد الملك بن مروان المسجد الأقصى، وكان ذلك عام ٦٨٥ م، وانتهى من البناء عام ٦٩٢ م، وظلت القدس تحت قيادة المسلمين حتى عام ١٩٦٧ م عندما قام اليهود باحتلال المدينة، فأصبح المسجد الأقصى خاضعاً لسيطرتهم، وبعد احتلال اليهود القدس زعموا أن نبوءات أنبياء بني إسرائيل التي كانت تتحدث عن إعادة بناء الهيكل لم يكن مقصوداً بها الهيكل اليهودي الثاني الذي تم بناؤه بعد العودة من فترة السبي البابلي، وإنما يقصد منها إعادة بناء الهيكل اليهودي الثالث بعد العودة من الشتات، والتي تحققت بإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين وإعلانها رسمياً عام ١٩٤٨ م، هذا رغم أن جميع نصوص أنبياء بني إسرائيل القدامى عن إعادة بناء الهيكل كانت تشير إلى الهيكل الذي سيتم بناؤه بعد العودة من الأسر البابلي، لكن اليهود - وكما هي عادتهم - يميلون دائماً لتفسير وتحريف النصوص تبعاً لأهوائهم وأغراضهم.

ويهدف اليهود إلى إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى المبارك^(١٣٣)، كي يعيدوا المسيح الدجال عند خروجه، ونظراً لورود نصوص في كتابهم؛ فهم النصراني منها أنها تشير إلى نزول عيسى ابن مريم في هيكل الله عند عودته من السماء لقتل الدجال، فقد اعتقد الغرب النصراني نتيجة للاختراق الصهيوني للنصرانية، أن وجود هذا الهيكل اليهودي في القدس شرط لازم ومؤشر على قرب مجيء المسيح من السماء؛ لذا فقد تعاونوا مع اليهود على ضرورة هدم المسجد الأقصى، وإعادة بناء الهيكل اليهودي الثالث على أنقاضه حتى يعجلوا مجيء المسيح، فالنصارى يريدون إعادة بناء الهيكل ليستقبلوا المسيح عند نزوله من السماء فيه، واليهود يريدون إعادة بنائه ليستقبلوا المسيح الدجال عند خروجه فيه، ونصوص الكتاب المقدس - عندهم - التي أشارت إلى نزول عيسى في الهيكل لا يقصد منها نزوله في الهيكل اليهودي الذي يخططون لبنائه مكان المسجد الأقصى كما زعموا، ولكن يقصد منه طبقاً لما شرحه النبي ﷺ في أحاديثه نزول عيسى في المسجد الأقصى، فقد أشار النبي ﷺ إلى أن عيسى سيتزل من السماء على المسلمين في المسجد الأقصى بالقدس، والدجال يحاصرهم داخل المسجد ومعهم إمامهم المهدي.

قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) [سورة آل عمران: ٨١]، وقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: " ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمداً، وهو حيٌّ، ليؤمننَّ به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء؛ ليؤمنن به ولينصرنه " (١٣٤).

^(١٣٣) لم يثبت أي دليل مادي على أن المسجد الأقصى بني على أنقاض الهيكل، رغم المحاولات المستميتة من جانب يهود ليعثروا على أي حفريات أو آثار تؤيد هذه المزاعم، ولو ثبت ذلك جدلاً لما ساغ أن يهدم المسجد ليقام مكانه الهيكل، لأن شريعة محمد ﷺ نسخت كل الشرائع التي سبقتها، وقد نسخت قبلة اليهود والنصارى، وصارت الصلاة لا تصح ولا تقبل إلا باستقبال الكعبة المشرفة، بل سُدَّتْ - ببعثة رسول الله ﷺ - كل الطرق المؤدية إلى الجنة، إلا طريقاً على رأسه خاتم النبيين محمد ﷺ، فلا يدخل أحد الجنة - بعد بعثته - إلا من طريق الإيمان به واتباعه ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: " والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلْتُ به: إلا كان من أصحاب النار " رواه مسلم (١٥٣).

^(١٣٤) انظر: "تفسير الطبري" (٦ / ٥٥٥)، رقم (٧٣٢٩).

وقال ﷺ لليهود: " نحن أحق وأولى بموسى منكم " (١٣٥) أي من اليهود، ورؤي عنه قوله ﷺ: " والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً؛ ما وسعه إلا أن يتبعني " (١٣٦)، ولو بُعث داود وسليمان - بل جميع أنبياء بني إسرائيل - لما حكموا إلا بشريعة الإسلام، ولما استقبلوا إلا المسجد الحرام اتباعاً لشريعة سيد الأنام ﷺ، فمن أين للمغضوب عليهم والضالين أنه يتحتم هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه؟! وهل يجوز أن يُعبد الله تعالى بشريعة منسوخة؟!

إن المسيح عليه السلام سوف يصلي خلف المهدي، ويأتم بصلاته، ويستقبل قبلته، لأنه سيحكم بالإسلام، وبشريعة سيد الأنام ﷺ، التي نسخت كل الشرائع السابقة، ولقد قال رسول الله ﷺ: " انا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد " (١٣٧).

وحين يتزل المسيح عليه السلام فإنه لن يخرج للنصارى، بل سيخرج عليهم، فيكسر صليبيهم، ويقتل خنزيرهم، ويقضي على المسيح الدجال، وسوف يضع الجزية، ولن يقبل إلا الإسلام، قال الله تعالى: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَلْأَيْمَنِ بِرَبِّهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) [النساء: ١٥٩] (١٣٨)، وقال ﷺ: " والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب " (١٣٩). الحديث، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: " فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام " (١٤٠) الحديث.

قال الله تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [سورة البقرة: ١٢٤].

(١٣٥) رواه البخاري (٢١٥ / ٧)، ومسلم (١١٣٠).

(١٣٦) عزاه الحافظ إلى الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والبخاري، وقال في "الفتح": " رجاله موثقون، إلا أن في مجالده ضعفاً " اهـ. (٣٣٤ / ١٣)، لكن حسنه الألباني - رحمه الله - في "إرواء الغليل" (٦ / ٣٤ - ٣٨).

(١٣٧) رواه البخاري (٣٥٢ / ٦)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥).

(١٣٨) هذا على القول بأن الهاء في قوله: (مَوْتِهِ) تعود إلى المسيح عليه السلام، وانظر "صحيح الجامع" (٥ / ٢٢٦) رقم (٥٨٧٧).

(١٣٩) رواه البخاري (٦ / ٤٦٠ - فتح)، ومسلم رقم (١٥٥) (٤ / ١٣٥).

(١٤٠) رواه أبو داود (٢ / ٢١٤)، وابن حبان في "صحيحه" (٦٧٧٥، ٦٧٨٢ - إحصان)، والإمام أحمد (٢ / ٤٠٦)، وصححه الحافظ في "الفتح" (٦ / ٣٨٤).

وقال عز وجل: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [سورة الأنبياء: ١٠٥]، والصالحون من ذرية إبراهيم عليه السلام هم أبناء يعقوب " إسرائيلي "، وأبناء إسماعيل من العرب، والوعد بوراثة الأرض وعد شرعي، وليس أمراً قديراً، فليس يُستحق بناءً على جنس أو عرق أو لون وإنما على شروط واحد هو الصلاح: (يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)، والتقوى: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [سورة الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) [سورة النور: ٥٥].

فمناط الأهلية للاستخلاف في الأرض والتمكين والاصطفاء هو " الإيمان والعمل الصالح "، وفي وقت كان بنو إسرائيل متمسكين بعهد الله عز وجل كانوا أولى بالاصطفاء من الوثنيين العرب، فلما نقضوا عهد الله، واستكبروا عن الحق غضب الله عليهم ولعنهم، في حين أسلم العرب وآمنوا، فورثهم الله الأرض ليعبده فيها، وبقي اليهود مغرورين بالأمان مدعين أنهم الشعب المقدس المختار، وكيف يبقى الاصطفاء لقوم طردوا منه إلى اللعنة والغضب!؟

قال الله تعالى مخاطباً الأمة المحمدية المرحومة: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [سورة آل عمران: ١١٠]، لكنها خيرية مبنية على مؤهلات الإيمان والعمل الصالح، لا على عنصر أو جنس أو عرق أو لون، وما أصدق العبارة التي كان يصيح بها أهل فلسطين في وجوه اليهود الغاصبين: " نحن شعب الله المختار "!

إن البعد الاعتقادي في قضية فلسطين هو البعد الأعمق، الذي يصدر عنه أعداؤنا في كل مواقفهم، فمن السفه أن يُجرّد المسلمون من أقوى سلاح لهم يواجهون به أعداءهم، وهو سلاح العقيدة الراسخة في أن الإسلام هو الدين الحق، وأن الله مولانا، ولا مولى لهم، وأن الرسل الذين يدعون الانتماء إليهم يتبرأون منهم، ولو بُعثوا لانحازوا بالكلية إلى جيوش المسلمين المؤمنين الموحدون ضد المغضوب عليهم والضالين.

الدين عند الله^(١٤١)

منذ وُجد الشرك والفساد في الأرض، كانت الأنبياء والرسل يدعون إلى عبادة الله وحده، وينهون عن كل صور الفساد في الأرض، وكان الذين يتبعون الأنبياء هم المؤمنين، كان نوح مؤمناً، وكان من تبعه مؤمنين، وكذلك كان إبراهيم خليل الرحمن أبو الأنبياء والمرسلين مؤمناً، وكان أبا المؤمنين، وكذلك كان إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وكذلك كان الأنبياء من بعده إلى عيسى مؤمنين، وكان أتباعهم مؤمنين، حتى بعث الله إلى البشرية كلها خاتمهم محمداً ﷺ مؤمناً، وأتباعه المؤمنون، واليوم يُعرف الذين انتسبوا إلى موسى باليهود أو "الموسويين"، ويُعرف الذين انتسبوا إلى المسيح بالنصارى أو "المسيحيين" أو "الموسويين"، ويُعرف الذين انتسبوا إلى المسيح بالنصارى أو "المسيحيين"، ويعرف الذين آمنوا بمحمد ﷺ بالمسلمين، وكلُّ يؤمن أن دينه هو دين الله، أو هو الدين عند الله، فما هو الدين عند الله؟

^(١٤١) مقال للمؤلف نشر بمجلة "بريد الإسلام" العدد الأول.

الحقيقة التي اتفق عليها المسلمون واليهود والنصارى

لا يستطيع مسلم ولا يهودي ولا نصراني أن ينفي الإيمان عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء قبل موسى عليه السلام، فالجميع يؤمنون أن هؤلاء كانوا رسل الله المؤمنين، وأن من تبعوهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا على الدين المرضي عند الله عزَّ وجلَّ، وفي نفس الوقت لا يستطيع أحد أن ينسبهم إلى الموسوية (اليهودية)، ولا إلى المسيحية (النصرانية) لسبب بديهي هو أن "اليهودية" و"النصرانية" لم تكن قد عُرفت بعد في عهد أي واحد من هؤلاء الأنبياء، والسؤال الآن:

ما هو هذا الدين الذي آمن به الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى نوح، إلى إبراهيم، إلى آخر نبي بُعث قبل موسى عليه السلام؟ نعم، ماذا كان دين هؤلاء الأنبياء الذين يتفق اليهود والنصارى والمسلمون على أنه دين الله، وأنه هو الدين المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى؟

لا يُرى في توراة اليهود، ولا في إنجيل النصارى الحاليين، إثباتٌ لاسم هذا الدين الذي آمن به هؤلاء الأنبياء ومن تبعوهم، فكيف نستطيع معرفة هذا الدين؟

الجواب: هو أن السبيل إلى التعرف عليه هو التفكير في جوهر هذا الدين وحقيقته ومقاصده، ونحن نعلم أن الله عزَّ وجلَّ لما أرسل هؤلاء الأنبياء إلى أممهم فإنه أرسلهم بعقيدة واحدة هي توحيد الله، وبشرائع يدعون الناس إليها تتضمن أوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه، فمن قبلها وانقاد لله فيها: فهو المؤمن الذي آمن بالله ورسوله المبعوث إليه، ودان بالدين الذي يرضاه الله عزَّ وجلَّ ويقبله، فهذا الدين عند الله هو توحيد الله، والانقياد لشرائع الله، والاستسلام لحكم الله، والخضوع لأمره ونهيه والإخلاص له عزَّ وجلَّ في ذلك كله، وإذا حاولنا أن نعبر عن هذه المعاني كلها في لغة العرب بكلمة واحدة تتضمن الاستسلام (الذي هو الخضوع والانقياد)، والسلامة (التي هي الإخلاص)، فلن نجد سوى كلمة واحدة هي: "الإسلام".

نعم، فإن "الإسلام لله" هو التعريف الوحيد الذي يمكن أن يُعبر به عن الدين المعترف والمرضي والمقبول عند الله، هو القاسم المشترك بين رسالات جميع الأنبياء، هو وحده الذي نستطيع أن نقول: إنه كان دين نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق،

ويعقوب عليهم السلام، ومن تبعهم من المؤمنين: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [سورة آل عمران: ١٩].

من أجل ذلك لم يكن لفظ " الإسلام " مجرد اسم خاص للتعبير عن رسالة محمد رسول الله ﷺ، ولكنه في حقيقته هو التعبير الوحيد عن جوهر جميع الرسالات السماوية، بما في ذلك رسالة موسى، ورسالة عيسى عليهما السلام، ولم يكن وصف " المسلمين " مجرد اسم لاتباع رسول الله محمد ﷺ، بل هناك معنى " عام " للإسلام وللمسلمين، دلت عليه النصوص الآتية:

قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [سورة آل عمران: ١٩].

وقال عز وجل: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [سورة البقرة: ١١٢].

وقال سبحانه حاكياً دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [سورة البقرة: ١٢٨].

وقال عز وجل: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ) [سورة آل عمران: ٢٠].

وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) [سورة النساء: ١٢٥].

وقال جل وعلا: (قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِلسَّلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [سورة الأنعام: ٧١].

وقال سبحانه: (فَالِهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا) [سورة الحج: ٣٤].

وقد تغيب هذه الحقيقة عن فريقين من الناس:

الأول: غير المسلمين، والذين لا يعرفون اللغة العربية على وجه الخصوص: وهؤلاء لا يكاد يتطرق إلى أذهانهم هذا المعنى العظيم الذي يُعبر عنه بكلمة " الإسلام "،

نعم هم ينطقونها نفس النطق العربي Islam باعتبارها علماً على دين خاص، دون أن يفقهوا معناها الحقيقي لكونهم جاهلين بلغة العرب، والواجب إشاعة هذا اللفظ مقروناً بمعناه بلغة القوم المخاطبين، بحيث كلما ذكرت كلمة " الإسلام " ذُكر معناها في لغة العرب.

والفريق الثاني؛ غير المسلمين ممن يعرفون اللغة العربية: فإنهم إذا سمعوا قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [سورة آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة آل عمران: ٨٥]. تنصرف أذهانهم إلى الإسلام " الخاص " الذي دعا إليه محمد رسول الله ﷺ، ويحسبون أن رسالة موسى التي يُعبر عنها - الآن - بالمسحوية، لا تدخلان في عموم الإسلام المذكور في الآيتين السابقتين.

ومما يؤسف له أشد الأسف أن هذه الحقيقة قد تغيب عن كثير من المسلمين، فيحملون الآيتين على الإسلام " الخاص "، ولا يفتنون إلى أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وأنهم وأتباعهم أجمعين كانوا مسلمين، ومن أجل توضيح هذه الحقيقة، نذكر شواهدا وأدلتها من القرآن الكريم:

فقد خاطب الله عزَّ وجلَّ رسله الكرام - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - قائلاً: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [سورة المؤمنون: ٥١ - ٥٢]. أي: هذه ملتكم واحدة، لأن كلمة " أمة " هنا معناها: الدين والملة، وقال عزَّ وجلَّ: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [سورة الشورى: ١٣].

وقال سبحانه في حق الأنبياء عليهم السلام: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَّ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

وقال سبحانه حاكياً عن أول رسول منه إلى أهل الأرض نوح عليه السلام أنه قال لقومه: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [سورة يونس: ٧٢].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [سورة آل عمران: ٦٧].

وقال تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [سورة البقرة: ١٣٠ - ١٣٣].

وقال عز وجل في شأن يعقوب عليه السلام: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [سورة البقرة: ١٣٣].

وحكى عن يوسف عليه السلام دعاءه: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [سورة يوسف: ١٠١].

وحكى عن لوط عليه السلام أنه: (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [سورة الذاريات: ٣١ - ٣٦].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) [سورة يونس: ٨٤].

وقال تعالى حكاية عن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) [سورة الأعراف: ١٢٦].

وقال تعالى حكاية عن فرعون: (حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [سورة يونس: ٩٠].

وقال سبحانه حاكياً عن بلقيس: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِئِي أَلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) [سورة النمل: ٢٩ - ٣١].

وقال سبحانه: (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) [سورة النمل: ٤٢]، إلى قوله تعالى: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [سورة النمل: ٤٤].

وقال سبحانه في شأن عيسى عليه السلام: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَتَصَارَىٰ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَتَصَارُ اللَّهُ أَمَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران: ٥٢].

وقال تعالى عن الحواريين أيضاً: (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [سورة المائدة: ١١١].

وقال سبحانه: (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ بِحُكْمٍ بِهَا التَّيُّونَ الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُونَ وَالْأَجْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [سورة المائدة: ٤٤].

قال الزمخشري في قوله تعالى: (يَحْكُمُ بِهَا التَّيُّونَ الَّذِينَ اسْلَمُوا): " وأريد بإجرائها - يعني هذه الصفة - التعريض باليهود وأنهم بعداء عن صلة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهودية بمعزل " اهـ.

وقال ابن منظور في " لسان العرب ": " وقوله تعالى: (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا) فسرته تغلب فقال: كل نبي بعث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف " اهـ.

وقال تعالى عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) [سورة القصص: ٥٢ - ٥٣].

يعني أن المؤمنين منهم بدينهم حقاً يقولون: إنا كنا من قبل نزول القرآن مسلمين، فلم يقولوا إنا كنا من قبله يهوداً أو نصارى.

وقال عز وجل: (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة آل عمران: ٨٣ - ٨٥].

وللنص القرآني إجابات منها:

أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لا يقبل من أحد دين سوى الإسلام، وأن من في السموات والأرض قد أسلموا لله عز وجل طوعاً وكرهاً، وأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط وموسى وعيسى وجميع الأنبياء مسلمون.

وقال تعالى مخاطباً هذه الأمة الحمديّة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران: ١٠٢].

وقال عز وجل أيضاً: (الْيَوْمَ نَبِّئُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) [سورة المائدة: ٣].

يتحصل لنا من كل ما سبق أن " الإسلام " اسم للدين الواحد الذي هتف به جميع الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأن هذا الإسلام يعني الطاعة، والانقياد والاستسلام لله تعالى، بفعل ما يأمر به، وترك ما ينهى عنه.

ولذلك فإن الإسلام في عهد نوح عليه السلام كان يتحقق باتباع ما جاء به نوح، وكانت كلمة النجاة في رسالته: " لا إله إلا الله، نوح رسول الله "، وفي عهد موسى مثلاً كانت: " لا إله إلا الله، موسى رسول الله "، وفي عهد عيسى عليه السلام كانت كلمة النجاة: " لا إله إلا الله، عيسى رسول الله "، وهكذا كانت كلمة النجاة في الرسالة الخاتمة الخالدة: " لا إله إلا الله، محمد رسول الله ".

ومن هنا كان مقتضى إيمان قوم موسى عليه السلام عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالتوراة، والانقياد لشريعة موسى عليه السلام، وليس الدين لموسى، ولكنه دين الله، وموسى رسوله والمبلغ عنه، والذين اتبعوا موسى، وآمنوا بالتوراة التي أنزلت عليه كانوا مسلمين خاضعين لله سبحانه وتعالى، فيأثم بهذا الإيمان والانقياد والخضوع والاستسلام لله عز وجل إنما يكونون قد " أسلموا " لله فيما أرادهم أن يسلموا له فيه.

وتوالى رسل الله بعد موسى عليه السلام، وكان مقتضى الإسلام لله عز وجل الإيمان بالرسول جميعاً ورسالاتهم، وهكذا إلى أن بعث الله عبده ورسوله عيسى المسيح عليه السلام، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والانقياد لشرعه، والإيمان بكتابه الإنجيل المتزل من عند الله، وليس الدين للمسيح، وإنما هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله وأنبيائه، والذين آمنوا بالمسيح عليه السلام وبالإنجيل كانوا مسلمين خاضعين لله سبحانه، لأنهم " أسلموا لله " فيما أرادهم أن يسلموا له فيه.

وهكذا أيضاً كان مقتضى إيمان الأمة الحمديّة التصديق بتوحيد الله عز وجل لا شريك له، والإيمان برسول الله محمد ﷺ، وبالقرآن العظيم، فليس الدين لمحمد ولا لعيسى ولا لموسى إنما هو دين الله، دين واحد هو الإسلام (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [سورة آل عمران: ١٩].

ومن هنا يتقرر أمور:

الأول؛ خطأ تسمية البعض هذا الدين بـ " الموسوية " أو " المسيحية " أو " الحمديّة "، إنما هو " الإسلام " دين واحد أرسل الله به جميع الرسل عليهم السلام داعين أممهم إليه، فمن أحابهم كان مسلماً.

الثاني؛ خطأ إطلاق عبارة " الأديان السماوية " بصيغة الجمع، فلا توجد " أديان " سماوية متعددة، إنما الذي أنزل من السماء " دين واحد " هو الإسلام (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

الأسلام] [سورة آل عمران: ١٩]، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة آل عمران: ٨٥].

وإنما الذي يتعدد هو " الرسائل " أو " الشرائع السماوية "، والأحكام العملية التي تختلف من نبي إلى آخر، كتفاصيل وكيفية الطهارة، والصلاة، والصيام، والزواج، والمعاملات، وغيرها.

وهذا ما بيّنه قوله ﷺ: " الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد " (١٤٢)، قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، فهم متفقون في أصول التوحيد والطاعة، أما شرائعهم فيقع فيها الاختلاف.

الثالث؛ بطلان الفكرة الضالة الداعية إلى " التقريب بين الأديان السماوية " لأنه ليس هناك " أديان " سماوية، وإنما الدين السماوي واحد هو " الإسلام "، فمحاولة التوفيق بين الإسلام وغيره من الأديان إنما هي محاولة للتوفيق بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، وبين دين سماوي أنزله الله وبين دين صنعته البشر أو حرقوه، وغيره، وإذا كان الدين عند الله واحداً - كما سبق توضيحه - فكيف يمكن الدعوة إلى التقريب بين الشيء ونفسه؟! (١٤٣)

الرابع؛ بطلان الدعوة إلى " الإبراهيمية "، بالتقريب بين ما يسمونه " الأديان الثلاثة " بحجة إيمانهم جميعاً بإبراهيم عليه السلام، " ولا شك أن من رام القرب من اليهودية والنصرانية - فضلاً عن سائر الملل الوثنية - فقد رغب عن ملة إبراهيم، التي هي الحنفية المسلمة، وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها، فقال: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) [سورة الحج: ٧٨]، يعني: فالزموها، وقال عز وجل: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [سورة آل عمران: ٩٥].

(١٤٢) رواه البخاري (٦ / ٣٥٢)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥).

(١٤٣) وقد صنف الدكتور أحمد بن عبد الرحمن القاضي - حفظه الله - دراسة علمية قيمة في دحض دعوة " التقريب بين الأديان "، وطبعتها دار ابن الجوزي بالدمام ١٤٢٢ هـ في أربعة مجلدات.

وملته ﷺ هي ملة الأنبياء قبله وبعده، وهي الإسلام بمعناه العام، لاذي يعني إسلام الوجه لله تعالى بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبذ الشرك، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على لسان نبيه الذي بعث إليه، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) [سورة النساء: ١٢٥].

وقد سَفِه اليهود والنصارى أنفسهم حين رغبوا عن ملة إبراهيم، بوقوعهم في أنواع الشرك والبدع، والكفر والفسوق والعصيان، كما قال قتادة: " رغب عن ملته اليهود والنصارى، واتخذوا اليهودية والنصرانية بدعةً ليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم".

ومع ذلك فقد حاولوا انتحاله، والانتساب إليه، فأكذبهم الله، وأبطل دعواهم، وبراً نبيه الكريم من كفرهم وضلالهم، فقال عز وجل: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [سورة آل عمران: ٦٧]، وأنكر عليهم أن يكون أحد من أنبيائه من ذريته على اليهودية أو النصرانية، فقال: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَتَأْتُمُوهُمْ أَمْ اللَّهُ) [سورة البقرة: ١٤٠]، كما حاولوا استزلال المؤمنين في عهد النبوة إلى طريقهم، بدعوتهم إلى التهود أو التنصر، فرد الله دعوتهم في نحورهم: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [سورة البقرة: ١٣٥]، وامثل ﷺ أمر ربه فدعاهم إلى ملة إبراهيم، في خطة رشد، وكلمة سواء، فقال: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران: ٦٤]، ولكن أتباع عزرا - لا موسى -، وبولس - لا المسيح - شَرِقُوا بدعوته، ولجؤا في طغيانهم، واستكفوا واستكبروا عن اتباع الهدى، ورغبوا عن ملة إبراهيم.

ومن هنا يجب التنبيه إلى خطورة ما يدعو إليه في زماننا بعض الضالين مما يسمونه "الإبراهيمية" كي يلتقي المسلمون مع اليهود والنصارى تحت شعار إبراهيم، وهذا زخرف من القول، لا ينخدع به إلا السذج، وإبراهيم الذي يقصدونه هو إبراهيم "التاريخي" وليس إبراهيم الموحد الحنيف، مع أنهم رغبوا عن ملته، واتحلوا اسمه الشريف لاقتناص ضحاياهم، ولينترعوا من أهل الإسلام اعترافاً ضمناً - بل صريحاً - بأنهم على

ملة إبراهيم؛ الأمر الذي يعد - في حد ذاته - رغبة عن ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام " (١٤٤).

الخامس؛ أن العقيدة الوحيدة الصحيحة على وجه الأرض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى اليوم لا توجد إلا في الإسلام، لأن الله عزَّ وجلَّ تكفل بحفظه من التحريف والتغيير: (إِنَّا نَحْنُ ذَرِّبْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [سورة الحجر: ٩]، وهي نفس العقيدة التي دعا إليها كل الرسل الكرام في كل زمان ومكان، لا تختلف من رسول إلى رسول، ولا من زمان إلى زمان. أما ما عداها فهي عقائد فاسدة متعددة، وفسادها ناشيء من كونها نتاج أفكار البشر وأهوائهم، وقد يكون أصل بعض العقائد صحيحاً لكن التغيير والتحريف طرأ عليها كما هو الحال في زماننا هذا بالنسبة لليهودية والنصرانية.

السادس؛ أن هذه العقائد الأرضية أو المحرفة هي التي تقبل التعدد فتوصف بأنها " أديان " لأن الله عزَّ وجلَّ سمى الوثنية ديناً فقال عزَّ وجلَّ مخاطباً مشركي قريش: (لَكُمْ دِينُكُمْ) [سورة الكافرون: ٦]، وقال سبحانه حاكياً عن فرعون قوله: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) [سورة غافر: ٢٦]، وكان دينهم عبادة فرعون، وقال سبحانه في حق يوسف عليه السلام: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) [سورة يوسف: ٧٦].

وقال عزَّ وجلَّ عن اليهود: (وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [سورة آل عمران: ٢٤]، وذمَّ (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً) [سورة الأنعام: ١٥٩]، بل سمى الله عزَّ وجلَّ ما أحدثه المنحرفون من اللعب واللهو ديناً فقال سبحانه: (وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً) [سورة الأنعام: ٧٠]، وقال تعالى: (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوَاً وَلَعِباً) [سورة الأعراف: ٥١].

فتبين بذلك جواز إطلاق لفظ " الدين " و " الأديان " على ما سوى الإسلام، باعتبار تدينهم بها، كما جاز إطلاق لفظ " الآلهة " على ما يُعبد من دون الله، مع أنه " الإله " الواحد الحق، باعتبار تأليههم لها.

ومما يدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى قيّد لفظ " الدين " في مواضع من كتابه الكريم، كقوله عزَّ وجلَّ: (أَفَعَبِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ) [سورة آل عمران: ٨٣]، ووصفه بما

(١٤٤) بتصرف من " دعوة التقريب بين الأديان " (ص: ١٤٢٧ - ١٤٣١).

يُخصّصه فقال: (دِينَ الْحَقِّ) [سورة التوبة: ٢٩]، وقال: (الدِّينُ الْقِيَمُ) [سورة التوبة: ٣٦]، وقال: (دِينُ الْقِيَمَةِ) [سورة البينة: ٥]، و (دِينًا قِيَمًا) [سورة الأنعام: ١٦١].

الخاتمة

نسأل الله حُسْنَهَا، إذا بلغت الروحُ المنتهى

لعلك أدركت أخي القارئ العواقب الوخيمة التي تنتج عن "التسويق" والترويج لفكرة "هرجدون" بدعوى أنها مجرد "مرادف" للملحمة.

ولعلك رأيت كيف أن "الأساطير اليهودية، و"النبوءات" المزعومة أو الخرفة - في مبانيتها أو معانيها - هي التي تحرك اليهود، وتستنهض همهم ليحولوها إلى حقائق واقعة مشهودة.

ولعلك تبينت دور الحركات الأصولية النصرانية في الترويج للتأويلات الفاسدة لنبوءاتهم المزعومة، من أجل الكيد والتآمر ضد الجنس البشري بعامه، وضد أمة الإسلام بخاصة.

إن الفرق كبير بين "رصد" أفكار ومواقف الأعداء لنحتاط لأمتنا، ونأخذ أهبتنا، وبين "تصديق" دجلهم، فلا يليق بالمسلمين أن يجسوا أنفسهم داخل "الشرنقة" التي ينسجها لهم صباح مساء الوهم اليهودي الصليبي، ولا أن يفت في عضدهم حمى "هرجدون"، ولا "هذيان الألفية"، فإن الحموم يهذي بتأثير الحمى، ومما يهذي به الغرب الكافر أن باطلهم سيعلو حقنا، وأن كفرهم سيهزم إيماننا، وأن شركهم سيطفئ نور توحيدنا، (فَاتْلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ) [سورة التوبة: ٣٠]، (رِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [سورة التوبة: ٣٢ - ٣٣]، (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَوْلُ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا) [سورة الإسراء: ٥١]، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [سورة آل عمران: ٦٤]، (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسِيَّكِهِمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [سورة البقرة: ١٣٧].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين